فسيفساء

تجارب إنسانية في التنمية والنهضة

مجدى سعيد

فسيفساء

مجدي سعيد

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

دار اكتب للنشر والتوزيع

١٠ شارع عبد الهادى الطحان ، المرج الغربية

موبايل :٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

عبد الرحمن حافظ

تدقيق لغوي :

ضحى صلاح

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢١٩

I.S.B.N: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٢٩-٨

فسيفساء

تجارب إنسانية في التنمية والنهضة

مجدي سعيد

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

كيف نتلمس الحكمة.. من تجاربنا وتجاربهم

تجارب الإصلاح، و التنمية، و النهضة، وصناعة الحياة - سمها ما شئت- هي تلك التجارب التي تحقق مصلحة عامة، أو تدرأ مفسدة عامة، فتُلبي احتياجًا عامًا، أو تحل مشكلة عامة، وهي تجارب يتوافر لأصحابها الإرادة الحرة، و إن استعبدت الإرادات،والعقل المبدع، و إن أسنت الأفكار، فيتفاعلون مع تلك الاحتياجات، أو المشكلات، و يقدمون لنا تجارب نتعلم منها أيًا كان مصدرها، فالحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها؛ فهو أحق الناس بها، و الحكمة كي تلتمس لابد من النظر، و التعلم من تلك التجارب، يقول الله تعالى: "و لقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر، حكمة بالغة فما تغني النذر"[1].. ففي هاتين الآيتين يعطينا الله درسًا في أحد مظان التماس الحكمة، وهي "الأنباء" التي تأتينا عن "تجارب" الأمم قديمها، و حديثها، ماضيها وحاضرها، و إذا كانت الآيتان قد جاءتا في معرض الحديث عن أنباء تجارب الأمم التي عصت، و كفرت فكان عاقبتها كما جاء في القرآن، و من ثَمَّ فإنهما تحدثنا عن الاستفادة من تجارب إخفاقات الأمم، فلا يعني هذا أننا لا يمكننا أن نستخلص من نجاحات الأمم في تجاربها حكمة بالغة أيضًا،

---

[1] - القرآن الكريم، سورة القمر، آية ٤ - ٥.

فالأمم صغيرها و كبيرها، قديمها و حديثها، شرقيها وغربيها، و شمالها و جنوبها؛تمر جميعها بتجارب، قد تنجح فيها و قد تخفق، و مقياس النجاح و الإخفاق، هو بمقدار ما تحقق تلك التجارب من مصالح أو تدرأ من مفاسد، سواء في ذلك مصالح ومفاسد الدنيا أو الآخرة، والتي يمكننا أن نحدد ملامحها بمقياس الفطرة أو بمقياس الرسالة، لكن بعض الأمم هي التي تستفيد من تجاربها، بينما البعض الآخر لا، غافل، وإذا كان تشوه الفطرة، ومن ثم تشوه المقاييس والمعايير التي نقيس بها المصالح، و المفاسد مانع من استفادة البعض، فإن غفلة البعض الآخر عن تدوين أو توثيق تجاربه،وتجريد الحكمة المستخلصة من تفاصيلها هو مانع آخر من الاستفادة والتعلم، ومن ثَمَّ فهو مانع من تراكم المعارف والخبرات المكتسبة من تلك التجارب، ومانع من ثم من التقدم والنهوض،وفي هذا الصنف الثاني تقع أمتنا للأسف الشديد.

إذ لم تحظ تجاربنا التنمويَّة و النهضويَّة بالتوثيق أو التجريد الواجب اللهم إلا القليل منها، وفي هذا السفر الذي بين أيديكم، والذي يأتي كحلقة سابعة من سلسلة "رسائل في الإصلاح والنهضة"[٢] أقدم بعضًا من التجارب، التي دونت:

---

٢ – سبقتها رسائل: (١) تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة، (٢) العمل الأهلي حياة الأمة..تجربة الإمام محمد عبده، (٣) الحركة التعاونية..الطاقة التنموية المهدرة، (٤) من سير صناع الحياة (٥) التعليم مشروع الأمة..عبرة الماضي والحاضر وآفاق المستقبل (٦) العلوم والتكنولوجيا..أفكار وتجارب في التغيير والنهضة.

– كتجربة واحة الصبيان: والتي حرص صاحبها الأستاذ السعيد محمد عاشور على توثيقها بشكل مثالي على الرغم من مضي عشرات السنين على حدوثها.

– وتجربة بنوك الادخار المحلي: والتي قدم عنها صاحبها الدكتور أحمد عبد العزيز النجار ثلاثة محاضرات ثم جمعها في كتاب رائع، كان هو المرجع الوحيد حول تجربة كانت تستحق أكثر من مجرد كتاب.

– وتجربة "خزف جراجوس": والتي قدمت في شكل وصفي وفني أكاديمي بارد، خلا من التجريد الواجب.

كما قدمت في الكتاب توثيقا لبعض التجارب التي تفرقت الأنباء عنها في بطون الكتب والصحف هنا وهناك، فحرصت أن ألم شعثها في مقال جامع، أتمنى أن يعطيني الله العافية والإرادة حتى أقدمها في كتاب خاص تستحقه، ألا وهي تجربة الحزب الوطني القديم، و مشروعه في النهضة والاستقلال. كما أقدم بعض التجارب التي استقرأتها من المعاصرة و لم تحظ بالتدوين كتجربة العمل الخيري الشبابي الحديث.

و في الباب الثاني من الكتاب أُلقي إضاءات على تجارب من هنا وهناك، من بلدان العالم الأول أو العالم الثالث، من كوبا غربًا إلى شبه القارة الهندية شرقًا، وهي التجارب التي وجدت عنها مادة وفيرة على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

و تتناول تلك الباقة الأولى من التجارب التي أعرضها في الكتاب ببابيه -والتي أتمنى أن تتلوها باقات أخرى إن كان في العمر بقية- تجارب متنوعة من حيث المستوى ومن حيث الموضوع، فمن تجارب الدول (كوبا)، إلى تجارب الحركات الاجتماعية والأحزاب (الحزب الوطني)، إلى تجارب المؤسسات الاقتصادية والأهلية (بنوك الادخار – تاتا – شيدولاي – بذور التغيير إلخ)، إلى تجربة الأفراد (واحة الصبيان) إلا أنها جميعًا تتفق في كونها أحدثت تنمية وسعت لإحداث نهضة تتناول مجتمعًا أو فئة من فئاته، محققة بذلك مصلحة، أو ساعية لدرء مفسدة، راجيا من الله أن تكون تلك التجارب حافزًا لمن يسعون في الأرض إصلاحًا، وتنمية ونهضة كي يواصلوا عملهم فيما بدأوه،وحافزًا لهم أيضا كي يدونوا ويوثقوا لنا "أنباء" تلك التجارب والخبرات حتى لا نبقى نحرث في البحر، وحتى لا نكون مغبونين.. يومنا كأمسنا، وغدنا كيومنا. راجيًا المولى عز وجل أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن ينفع الناس به "وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض".

مجدي سعيد

فبراير ٢٠١٠

الباب الأول

تجارب مصرية وعربية

الحزب الوطني القديم..

مدرسة في "صناعة الحياة"

لم يكن الحزب الوطني "القديم" الذي أسسه مصطفى كامل في مصر عام ١٩٠٧ مجرد باعث للروح الوطنية من خلال الخطب الحماسية فقط كما يتصور البعض من خلال ما أوحت به بعض أفلام السينما المصرية أو كتب التاريخ المدرسية، بل إن الجزء الأكبر من نضال ذلك الحزب -حتى من قبل تأسيسه رسميًا- كان مُنصبًّا على الجهود العملية -السرية والعلنية على السواء- من أجل "صناعة الحياة" في مجالين أساسيين لا ينفك أحدهما عن الآخر بحيث يشكلان معًا منظومة متكاملة من:مقاومة التخلف ومقاومة الاستعمار أو بناء النهضة وتحقيق الاستقلال. وذلك من خلال خلقه للمبادرات الأهلية التي تناولت كافة مجالات الحياة، واستهدفت استنهاض ومشاركة كافة فئات المجتمع، ومثلت بواكير ما يعرف بمؤسسات "المجتمع الأهلي" الحديث في مصر.

المدارس العليا.. رأس الحربة

كان طلبة وخريجي "المدارس العليا" (توازي الكليات الجامعية حاليًا) هم رأس الحربة وقاطرة حركة المجتمع الأهلي

من خلال تأسيسهم "نادي المدارس العليا" يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعي:"تفتحت في قلوب الشباب زهرة الوطنية التي أنبتتها دعوة مصطفى كامل وأخذت تجيش بالشعور الوطني وتتحرك نحو أغراضه وأهدافه، وبدأت علائم اليقظة تظهر فيهم بشكل عملي سنة ١٩٠٥، وكان أول مظهر لهذه الحياة الجديدة أن فكر طائفة منهم في إنشاء نادي للمدارس العليا يجمع بين طلبة هذه المدارس ومتخرجيها" ومن ثم " تألفت لجنة برئاسة الدكتور عبد العزيز نظمي في أكتوبر ١٩٠٥ وقامت بمهمة جمع الاكتتابات بينما روجت "اللواء" للمشروع كثيرًا. وتم أول اجتماع للجمعية العمومية للنادي بهيئة جمعية تأسيسية في الثامن من ديسمبر من نفس العام بإحدى قاعات مدرسة الطب لانتخاب مجلس إدارة للنادي، ووقع الاختيار على عمر بك لطفي ليكون أول رئيس له، وبالفعل افتتح النادي بصفة رسمية في الخامس من أبريل ١٩٠٦، وكان هذا النادي من أعظم مظاهر الحركة الوطنية في ذلك العصر، وصار بمثابة معهد وطني علمي أخلاقي تكون فيه جيل من خيرة الشباب المصري، وفيه ظهرت حركة فكرية قومية أنتجت على توالي السنين عدة مشروعات جليلة كان لها فضل كبير على النهضة الوطنية.

والنادي على ذلك يعتبر بمثابة أول اتحاد عام لطلاب مصر، وإن كان قد جمع بين الطلبة والخريجين، ومن ثم فقد نادى الزعيم "محمد فريد" من خلال جريدة البلاغ المصري أعداد ١٣-١٦ أغسطس ١٩٠٩ إلى إنشاء نقابة للطلبة المصريين لتكون بمثابة اتحاد يضمهم ويدافع عن مصالحهم.

"التعليم التحريري" حياة الأمة

كان "التعليم التحريري" هو المحور الرئيسي لتحقيق أهداف الحزب في النهضة والاستقلال، كما نصت عليه لائحة الحزب في البند الخامس: العمل على نشر التعليم في أنحاء الديار على أساس وطني صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادئ الدينية السليمة الداعية للرقي وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات في البلاد وإرسال الإرساليات في أوربا وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال. وقد اتخذ العمل في هذا المحور عدة أشكال لعل أهمها ما يسمى بـــ "مدارس الشعب الليلية": وهي المدارس التي نشأت فكرتها في نادي المدارس العليا،ومن ثم شرع النادي كواجهة علنية للحزب الوطني وجمعياته السرية وفي طليعتها "جمعية التضامن الأخوي" منذ أواخر سنة ١٩٠٨ في إنشاء مدارس ليلية

للشعب لتعليم الفقراء مجانا فأنشأ ببولاق أول مدرسة من هذا النوع وبدأت الدراسة فيها في نوفمبر ١٩٠٨، وألقى المرحوم "أحمد بك لطفي"أول درس بها،وموضوعه: (الشئون الاجتماعية).

وكان برنامج هذه المدارس يتناول المواد الآتية: القراءة والكتابة (دروس الدين)، قانون الصحة والاحتياطات الصحية (العناية بتربية الأطفال)، القوانين الخاصة بالمعاملات اليومية (الشئون الاجتماعية)، دروس الأشياء (الحساب)، تاريخ مصر والتاريخ الإسلامي (جغرافية مصر)، أخلاق وآداب.

وتطوع الشباب من أعضاء الحزب والنادي والجمعية لتدريس هذه المواد، وإلقاء الدروس الليلية على العمال، وبلغ عدد المدارس التي أنشأها الحزب سنة ١٩٠٩ لتعليم الصناع مجانًا أربع مدارس في أقسام:الخليفة وبولاق وشبرا والعباسية، تحوي كل منها نحو مائة وعشرين تلميذًا من مختلف الحِرَف، وانتشرت هذه المدارس في عواصم القطر.

والناظر إلى برنامج تلك المدارس يتأكد له أن المقصود منها لم يكن مجرد تعليم للكبار، أو محو أمية القراءة والكتابة وفقط، بل كان تعليما يهدف إلى تحرير عقول المتعلمين، ومن ثَمَّ يصبحون أداة لتحرير الأوطان، وهو ما يجعل هذه التجربة

أسبق من تجربة باولو فريري، وإن اختلفت عنها بعض الشيء.
وقد اتجهت عزيمة الزعيم مصطفى كامل منذ عام ١٨٩٩ إلى حث الأمة على نشر التعليم الأهلي؛ لكي تقوى الروح الوطنية في نفوس الجيل الجديد،وبالفعل تجاوب الموسرون وأسسوا عددا من المدارس العامة، ومدارس الصنائع، وهو ما اعتبره لدى افتتاحه لإحداها بمثابة: "الحجج الدامغة على حياة الأمة ووجود من يهتم لأمر تقدمها ونهضتها".

العمال والصنائع الجناح الأيمن للحركة الأهلية

عني الحزب الوطني كذلك بتأسيس نقابات للعمال والصناع لاقتناعه بخطورة انعدام وجود "قوانين خاصة بحماية العمال – في مصر– ولا قوانين تحديد سنهم، ولا عدد الساعات التي يجب أن يقضوها في العمل، مما جعل العمال مثقلي الكواهل بلا رحمة، خصوصا في معامل الدخان ومعامل حلج القطن، حيث يشتغل الأطفال ذكورًا وإناثًا في وسط من أردأ الأوساط من الوجهة الصحية والأدبية" وذلك كما عبر الزعيم "محمد فريد" في مقال له عام ١٩٠٨، ومن ثم أنشأ الحزب ببولاق في ذلك العام (١٩٠٨) أول نقابة للعمال في مصر باسم (نقابة عمال الصنائع اليدوية) و وضع لها قانونا من القوانين التي وضعت لنقابات الصناع واتخذ لها ناديًا بالسبتية تجاه مدرسة عباس،

وكان أول رئيس لهذه النقابة على بك عزت ناظر مدرسة الصنائع بالمنصورة سابقًا، وقد ازدهرت النقابة وبلغ عدد أعضائها في ختام سنة ١٩٠٩ نحو ثلاثمائة عضو، عدا الأعضاء المساعدين من غير العمال. وسرت فكرة تأسيس النقابات في العواصم فأنشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية في الإسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على مثال نقابة القاهرة. وكانت "مدارس الشعب الليلية" هي الوسيلة لنشر الفكر الخاص بالنقابات بين أهل الصنائع والحرف، كما كانت همزة الوصل بين تلك النقابات والحزب. ومن خلال النادي والمدارس ألقيت العديد من المحاضرات القيمة والتي كانت تصب جميعًا في خانة تحقيق أهداف استنهاض الأمة من أجل النهضة والاستقلال، مثال ذلك محاضرة عمر بك لطفي عن أسباب ارتقاء العمال في أوروبا، وكيف يرتقي العمال في مصر.

التعاونيات الزراعية والأهلية جناحها الأيسر

ظهر التعاون في مصر أول ما ظهر سنة ١٩٠٨، وكان نادي المدارس العليا أول بيئة نشأت فيها هذه الدعوة الصالحة، وذلك على إثر الأزمة المالية التي انتابت البلاد سنة ١٩٠٧، وبدأت الدعوة إليه في نادي المدارس العليا على يد المرحوم "عمر بك لطفي" رئيس النادي وأبي التعاون في مصر، وذلك

لإيجاد علاج دائم للأزمات الاقتصادية التي تستهدف لها البلاد، فاتجه فكره إلى اقتباس نظام التعاون عن أوروبا، وسافر صيف سنة ١٩٠٨ إلى إيطاليا باعتبارها من البلاد التي اشتهرت بارتقاء نظمها في التسليف التعاوني، وهناك درس التعاون الزراعي والتعاون في التسليف واجتمع بالسنيور لوزاتي الملقب بأبي التعاون في إيطاليا،فتوافقت آراؤهما ومبادئهما، وعاد إلى مصر ممتلئًا بحاجة مصر إلى النظام التعاوني، وألقى بنادي المدارس يوم أول نوفمبر سنة ١٩٠٨ أولى محاضراته عن التعاون شرح فيها مزاياه، وتكلم عن نظام التعاون في التسليف بألمانيا وإيطاليا، والقواعد التي تسير عليها جمعياته وشركاته في تلك البلاد، وختم محاضرته بالحث على إنشاء هذه الجمعيات والشركات،ونصح بالبدء بالتعاون في التسليف لأنه الكفيل بإنقاذ البلاد من آفة الربا الماحقة. واستمر بعد هذه المحاضرة يدعو إلى التعاون في محاضرات ألقاها في النادي وفي نوادي الإسكندرية وطنطا ودمياط وغيرها، وأسس أول شركة تعاونية وهي شركة التعاون المالي التجارية بالقاهرة التي صارت الآن بنك التضامن المالي، وكان تأسيسها يقتضي عقد ابتدائي في ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩، وصدر بها الأمر العالي في ٢٧ يناير سنة ١٩١٠، وأسس أول جمعية تعاون زراعية (وكانت تسمى نقابة زراعية) في أبريل سنة ١٩١٠ بشبرا النملة مركز طنطا

وألقى بالنادي يوم ٢٤ مايو سنة ١٩١٠ محاضرة عن إنشاء هذه النقابة باعتبارها أول نقابة زراعية أنشئت في مصر، وكانت هذه المحاضرة بمثابة تجديد للدعوة إلى التعاون، قال: يعتقد بعض الناس أن تفريج الأزمة المالية لا يكون إلا بجلب رءوس المال من البلاد الأجنبية وإقراضها للأهالي حتى تدور حركة الأعمال كما كانت عليه قبل سنة ١٩٠٧. وعندي أن أساس الاستقلال والحرية في كل أمة هو الاستقلال الاقتصادي، فالواجب إذا لترقية شئوننا الاقتصادية أن يكون الماضي درسًا مفيدًا للمستقبل، وأن نوجه اليوم مجهوداتنا كافة لتقوية وتنمية مصادر الثروة المصرية الحقيقية، وعلى الأخص الزراعة، مع تحسين حالة المزارعين حتى تجود أراضينا السخية بالمحصولات الجيدة.. وفي اعتقادي أن هذا لا يتم إلا بإنشاء نقابات زراعية وشركات التعاون والمصارف الأهلية.

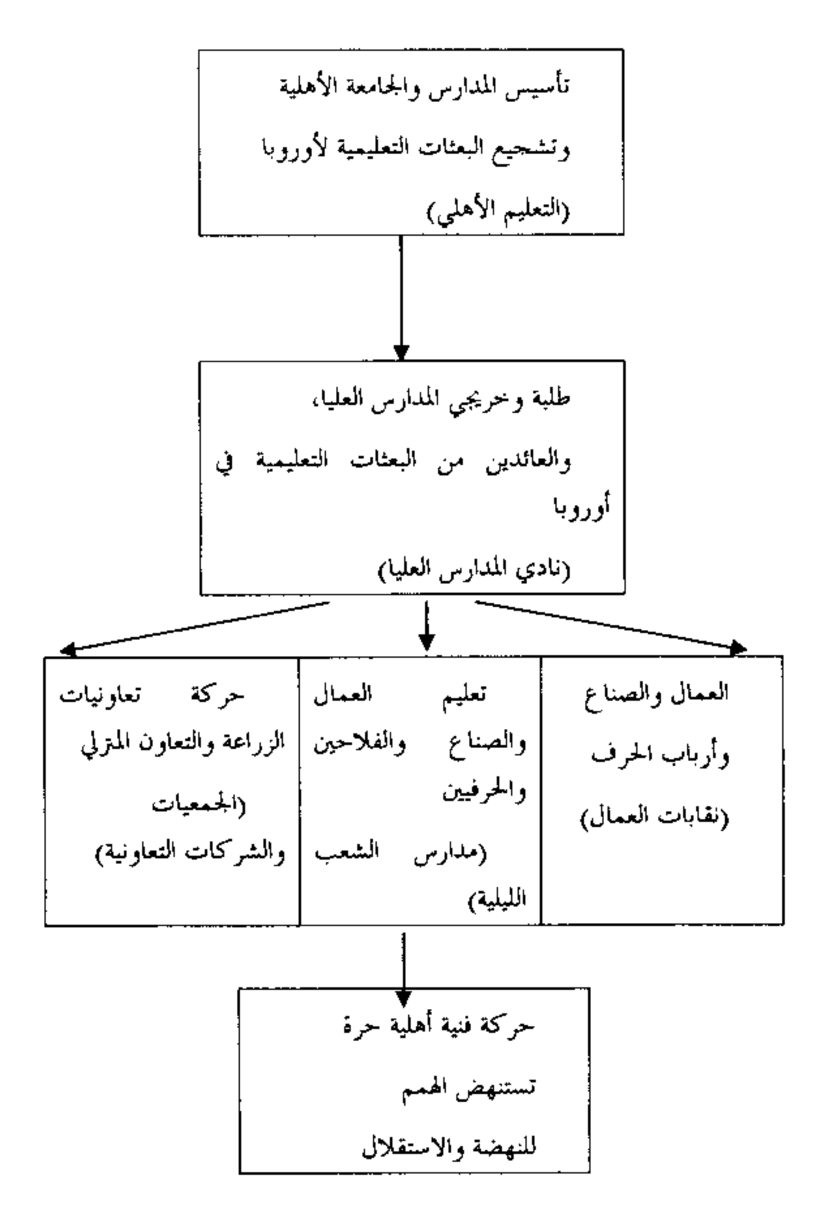
"الغناء والتمثيل".. ظهير النهضة والاستقلال

ولأن الحركة الفنية كانت لا زالت حرة أهلية، فقد دعا قانون جمعية "التضامن الأخوي" (الجمعية السرية للحزب الوطني) الصادر في يونية عام ١٩٠٨ إلى: عمل أدوار أغاني وأناشيد عن الحالة الحاضرة لتغنى في المجتمعات ويحفظها طلبة الكتاتيب والمدارس، وكذا وضع روايات تمثيلية باللغة الدارجة

لتمثل في جهات الأرياف لمحاربة الأخلاق الفاسدة والعادات القبيحة،ووضع قصص سياسية باللغة العامية، كما دعا إلى تخصيص فئة من الجمعية بعمل الروايات التمثيلية عن الحالة الحاضرة لتمثيلها، وتأليف الأغاني والأناشيد الوطنية؛ لإذاعتها وإنشادها بواسطة الفرق الموسيقية في أماكن اللهو والترويح عن النفس التي تقصدها جماهير الشعب مع شرح الحالة المؤسفة لوطنهم، ووصف الحالة الحاضرة للأمور في شكل رواية مسرحية تمثل في مدن الريف يلقي بعدها أحد الأعضاء خطبة في نفس الموضوع، وتأليف نشيد يصف الحالة القائمة للأوضاع في شكل ملحمة تغنى في المقاهي.

خريطة النهضة والاستقلال في مدرسة الحزب

هذه إذا خريطة "صناعة الحياة" للنهضة والاستقلال كما وضعت أسسها مدرسة الحزب الوطني "القديم" كما أرساها مصطفى كامل ومحمد فريد وعمر لطفي وغيرهم وغيرهم المئات والآلاف من رجالات الحزب والشعب المعروفين والمجهولين على السواء. فلنتأملها:


تأسيس المدارس والجامعة الأهلية
وتشجيع البعثات التعليمية لأوروبا
(التعليم الأهلي)
طلبة وخريجي المدارس العليا،
والعائدين من البعثات التعليمية في أوروبا
(نادي المدارس العليا)
العمال والصناع وأرباب الحرف
(نقابات العمال)
تعليم العمال والصناع والفلاحين والحرفيين
(مدارس الشعب الليلية)
حركة تعاونيات الزراعة والتعاون المترلي
(الجمعيات والشركات التعاونية)
حركة فنية أهلية حرة
تستنهض الهمم
للنهضة والاستقلال

المصادر

• عبد الرحمن الرافعي، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٨٤.

• ....، محمد فريد رمز الإخلاص والتضحية، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٨٤.

• عصام ضياء الدين السيد علي الصغير، الحزب الوطني والنضال السري ١٩٠٧-١٩١٥، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧.

تجربة بنوك الادخار.."لِسّه الأماني ممكنة"

"كان مشروع بنوك الادخار المحلية مشروعًا فريدًا، متعمقًا وأصيلًا، ومُحكمًا فنيًا، إضافة لكونه مشروع متطور بمعنى أنه يخطو نحو أنواع جديدة من المشاكل تتطلب مهارات ابتكاريَّة لمعالجتها،وهذا ما يجعل المشروع كما رأينا يُشكل نموذجًا و آية غاية في الروعة لعلاج مشكلات التنمية" تلك هي الكلمات التي تضمنها تقرير مجلة "إنترناشيونال ريفيو" عن بنوك الادخار المحلية[٣]، وهي التجربة التي أسسها الدكتور أحمد عبد العزيز النجار في مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر عام ١٩٦٣،واستمرت تعمل حتى عام ١٩٦٨، حيث دهسها "بلدوزر" النظام الحاكم في مصر، ولو قدر لهذا البنك أن ينمو في مناخ حر لكان له شأن كبير في التنمية الاجتماعية/ الاقتصادية،لكن الأماني لا زالت ممكنة، والظروف التي يعيشها العالم حاليًا في ظل أزمته الاقتصادية والمالية تجعل من التجربة طوق نجاة للملايين من بسطاء الناس في العالم.

[٣]- طالع التعليق في: توفيق محمد الشاوي، اقتصاد المستقبل تجربتي في الاقتصاد الإسلامي وقصص عن البنوك الإسلامية، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، ص ١٤٤.

بنوك بلا فوائد

لا تقل تجربة بنوك الادخار روعة عن تجربة بنك "جرامين" أو بنك "الفقراء" إن لم تفقه، فهي ليست كالبنوك الإسلامية مجرد "بنوك رأسمالية متروعة الربا"، محكومة بأنظمة البنوك المركزية، أو تستثمر أموالها في الخارج، أو على الأقل ليس لها أي تأثير تنموي على القطاعات العريضة من جماهير الشعوب، فبنوك الادخار المحلي ذات صبغة اجتماعية تنموية محلية لا لبس فيها، وهي إضافة إلى ذلك بنوك لا تتعامل بالفوائد الربوية، وهي السمة الأبرز التي من شأنها أن تمنح تلك البنوك أو صناديق الادخار قبولا لدى القطاعات العريضة من جماهير المسلمين، ولو أحسن الدعوة لنموذجها لأصبحت عاملا منقذا للاقتصاد العالمي من أزمته.

في كتابه "بنوك بلا فوائد"[4] يقدم "بطل" التجربة الدكتور "أحمد عبد العزيز النجار"[5] نموذج بنوك الادخار المحلي في إطار رؤية اجتماعية واقتصادية متكاملة تتشابه في كثير من جوانبها مع رؤية البروفيسور محمد يونس "بطل" بنك الفقراء وإن

---

[4]- أحمد عبد العزيز النجار، بنوك بلا فوائد كاستراتيجية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في الدول الإسلامية، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.

[5]- أستاذ الاقتصاد الإسلامي، والأمين العام للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، وعميد المعهد الدولي للبنوك والاقتصاد الإسلامي.

اختلفت التجربتان في مداخلهما لحل معضلة التنمية في بلدان العالم النامي، ومن ثَمَّ اختلفت بعض تفاصيل النموذجين.

نموذج بنوك الادخار المحلية

ولِفَهم النموذج فسوف أحاول تفكيك عناصره التي شرحها الدكتور النجار في كتابه من خلال الجدول التالي:

العنصر	بيانه
خصائص النموذج التنموي (الذي انبنت عليه فكرة البنك) ومقومات نجاحه	١- أن يكون النموذج التنموي مستمدًا من التركيب الأصلي للمجتمع ومشتقًا منه ٢- أن يكون النموذج على بصيرة ووضوح في أهدافه، وعلى وعي عميق في نفس الوقت بخصائص الواقع ٣- أن تكون في يديه الأدوات التي يستطيع بها أن يحرك الواقع لصالحه بطريقة مجدية ومؤثرة في المجتمع
فرضيات النموذج	الفرضية الأولى: أن الدين يعتبر في العالمين العربي والإسلامي عامل حاسم

	ومحدد للسلوك، ومن ثم لا ينبغي أن نغفل أثره بالنسبة لجميع أوجه النشاط والمشروعات الفرضية الثانية: تعتبر النقود سلاحًا هامًا وخطيرًا في نفس الوقت في علاقتها بالسلوك، فالنقود هي القنطرة الموصلة بين الحاجات والرغبات من ناحية، وبين السلع من ناحية أخرى أو قل: بين الحياة الكريمة ووسائلها
الهدف من النموذج	تعبئة الجماهير الإسلامية لتشارك مشاركة إيجابية فعالة في عملية تكوين رأس المال (إجمالًا) – العمل كوسيط بين عرض المال وطلبه – العمل كمركز للتربية الاقتصادية – العمل كوسيط نشط وفعال للقضاء على الصعوبات التي تعترض تكوين رأس المال

عوامل إخفاق عمليات الإصلاح في البلدان النامية	عقبتين رئيسيتين: أولًا الإنسان الذي يتسم بالعفوية واللامبالاة والسلبية والأنانية والنمطية والرتابة وتغيير تلك السمات من أصعب الأمور ثانيًا الناحية التنظيمية فدور التنظيم يقتصر على الربط بين كل مشروع على حدة وبين الهيكل الاقتصادي ككل من ناحية أخرى، سواء من ناحية الوقت أم من ناحية الكم، ولا يمتد إلى التنسيق بين مراحل التنفيذ وخطواته في القطاعات المختلفة

آليات النموذج لتجاوز تلك العقبات	١- التربية الادخارية: وتعني إرشاد الأفراد إلى طرق إنفاق دخولهم بالطريقة التي تعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع ٢- التربية الائتمانية: ويراد بها تدريب المواطنين على طلب واستخدام القروض لتحقيق إنتاج أكبر وثمرة مضاعفة

	٣- التغلب على أية صعوبات تعترض نشاط الاستثمار

شرح النظام	أولا الحسابات: أ- حساب الادخار: والحد الأدنى للوديعة في هذا الحساب خمسة قروش (كان ذلك عام ١٩٦٣)، والسحب منه عند الطلب، ولا يدفع البنك فائدة عن الودائع في هذا الحساب. ب- حساب الاستثمار: والحد الأدنى للإيداع في هذا الحساب جنيه واحد (عام ١٩٦٣)، والسحب منه سنوي، ويشارك المودعون في هذا الحساب البنك في عائد استثماراته تبعًا لحجم الوديعة ومدتها ج- صندوق الخدمة الاجتماعية: وتتكون حصيلة هذا الصندوق من التبرعات التي يقدمها الأفراد طواعية للبنك وتستخدم حصيلة هذا الصندوق كتأمين ضد الكوارث التي قد تصيب المودعين

	ثانيا القروض: أ- قروض غير استثمارية: وهي التي يرد المقترض أصل المبلغ دون أية فوائد، ويقدم البنك هذه القروض لاستخدامات المدخرين ب- قروض استثمارية أو قروض بالمشاركة: وهي التي يشارك البنك المستثمر فيها في رأس المال، وفي نسبة الغنم والغرم، كل بمقدار نصيبه (والضمان الشخصي يكاد يكون هو الضمان الوحيد الذي يطلبه البنك)

الأسس والمبادئ الجوهرية التي يستند إليها النظام	١- اللامركزية: فمستقبل التنمية الاجتماعية مرهن بمدى توافر عنصر اللامركزية في إدارة المؤسسة التي تتصدى لها وذلك بناءا على ٣ اعتبارات: • نفسية: شعور الرضا المتولد من الاهتمام بالمنطقة المحلية (القرية أو الحي)، الانتقال من السلبية للإيجابية نتيجة لقصر

	خطوط الاتصال وسرعتها وواقعيتها • اقتصادية واجتماعية: تحقيق نمو متوازن في تطور المجتمع، الاستغلال الأمثل للطاقات البشرية والمادية للمجتمعات المحلية، إغراء قاطني المناطق المحلية بالاستمرار فيها، تخفيف العبء الملقى على الخطة العامة للدولة • فنية: التوعية الفعالة عن طريق الاتصال المباشر الحي، التعرف على الدوافع والأنماط السلوكية واستخدامها لمصلحة النظام، التعرف على الاتجاهات وإزالة الصعوبات التي تعترض التربية الائتمانية، متابعة القروض الممنوحة وضمان سدادها وحسن استخدامها والآثار الاجتماعية الناتجة عنها، الصلات الدافئة بين العاملين والجمهور، مواجهة المشكلات الاجتماعية للوحدات المحلية ٢- المشاركة: كبديل ممكن عن سعر الفائدة في عالم الاقتصاد وقد أخذت به

	البنوك استنادا على ٣ اعتبارات: • نفسية: عقد القراض هو الأقرب للاتجاهات العقلية للإنسان العربي والمسلم، وهو الأقرب إلى العدالة • اقتصادية واجتماعية: اختلاف الاقتصاديين حول ضرورة سعر الفائدة ونسبتها، المشاركة تعاون يضاعف القوة الإنتاجية، كما أن المشاركة عدالة في توزيع العائد، المشاركة تجعل البنك يضع علمه وخبرته لإنجاح المشروعات، المشاركة والمحلية تحققان للبنك التكيف مع التغيرات الهيكلية للاقتصاد المحلي • فنية: المشاركة تحقق التربية الائتمانية لجماهير القاعدة بنجاح، أن عائد المشاركة أوفر من عائد سعر الفائدة مما يسهم في تغطية المصاريف الإدارية في وقت قصير
القضايا التي تقوم عليها فكرة بنوك	– قيام بنوك الادخار على أسس محلية حتى تكون قادرة على اتباع سياسة

الادخار	ادخارية وائتمانية بناءة – استثمار الودائع في نفس المنطقة المحلية تحت سمع وبصر الأهالي – تكوين علاقات متينة مع السلطات المحلية – تدريب العاملين ببنوك الادخار تدريبًا خاصة لحمل المسئولية – تقديم التسهيلات الائتمانية الممكنة للمواطنين المحليين خاصة في مجالات الصناعات الصغيرة والمتوسطة زراعية كانت أم صناعية أم تجارية – إنشاء بنوك الادخار المحلية لا ينبغي أن يكون قرارًا فوقيًا، بل نتيجة لرغبة محلية تنبع من القاعدة

بين بنوك الادخار وبنوك الفقراء

بين تجربتي أحمد النجار ومحمد يونس مشابهات ومفارقات، فمن باب المشابهات نظرتيهم النقدية إلى أنماط ونماذج التنمية والاقتصاد القائمة، فكلاهما ينتقد نماذج التنمية التي تنبني على

المشروعات الكبرى بغض النظر عن استفادة عموم الناس منها،فالنجار ينتقد قلة الموارد المالية المرصودة للتنمية المحلية، وانتقد الاعتماد على المشاريع الضخمة على حساب الصناعات الحرفية الصغيرة على الرغم من أهميتها، وانتقد الاتجاه العام نحو المشروعات كثيفة رأس المال، والابتعاد عن المشروعات كثيفة العمالة، وقد رأى أن تجربته تصحح تلك الأوضاع.

كلاهما -النجار ويونس- رأى في سلوكيات الفقراء وبسطاء الناس جوانب تعوق التنمية وتحتاج إلى علاج وتنمية، وكلاهما اتخذ من نموذجه وسيلة لتحقيق ذلك، حتى أن النجار اعتبر أن الآثار الاجتماعية للتجربة أهم من غيرها من الآثار (الفنية والاقتصادية) وقد رأى تلك الآثار في تعبئة سكان الريف وتحويلهم إلى الإيجابية بدلا من السلبية واللامبالاة والاتكاليَّة،تجنب الآثار السلبية الناتجة عن هجرة أهل الريف، وتعريض (أو توسيع) قواعد الملكية بين الفئات الضعيفة اقتصاديًّا، وربط المثقفين بالجماهير من أجل التنمية والإنتاج بدلًا من الأيديولوجيات المستوردة.

كلاهما بنى نموذجه على أساس مشاركة المستضعفين والفقراء في حل مشكلاتهم بالجهد والمال، وكلاهما رأى في القروض الاستثمارية والتنمية المحلية كسرًا لحلقة انقسام المجتمع

إلى نخبة مترفة وقاعدة واسعة مهمشة، وكلاهما ألغى الضمانات التي تطلبها البنوك التجارية واعتد على أشكال أخرى من الضمانات يستطيع الفقراء توفيرها، وتعتمد في بنوك الادخار على الضمانات الشخصية، وعلى صفة اللامركزية والمحلية

كلاهما قصر الحصول على القروض على الأعضاء (في بنك الفقراء) أو على المدخرين (في بنوك الادخار المحلية)، وزاد عليها الأخير أنه اشترط أن المدخرات المتجمعة من المنطقة، ينبغي أن تستثمر في نفس المنطقة وليس خارجها.

ومن المفارقات أن تجربة بنك الفقراء أخذت وأعطت فوائد للأعضاء/ المقترضين،بينما جعلت بنوك الادخار المحلية التعاملات مدخرات وقروض بلا فوائد وجعلت المشاركة بديلًا لتغطية المصاريف الإدارية، ومن المفارقات أيضا أن تجربة يونس كتب لها البقاء والنمو والعالمية؛ بينما كتب على تجربة النجار قصر العمر ورغم النمو في هذا العمر القصير فلم يعصمها ذلك من أن توأد حية.

الأمل في الإحياء

لا شك أن تجربة النجار يمكن أن تحيا لأنها تعتمد بشكل أساسي على اللامركزية والمحلية، ومن ثم يمكن أن تطبق في محلة واحدة (قرية أو حي) في شكل صناديق ادخار محلية، ولا شك

أنها ستكون أكثر قبولًا من بنك الفقراء وذلك من الناحية النفسيَّة خاصة في وسط الجمهور المسلم، إلا أنها يمكن أن تكتسب الصفة الإنسانية والعالمية التي تحققت بنك الفقراء لو أنها نجحت في تقديم نماذج ناجحة من الناحية الإدارية والاقتصادية والتنموية تُغري بنقلها إلى مجتمعات أخرى لا يشترط أن تكون مسلمة.

واحة الصبيان.. نموذج البناء الأخلاقي

"ما الذي نراه الآن في مجتمعنا أيها السادة:في الشارع، في المدرسة، في الجامعة، في الأندية، في البيوت، وحتى في وسائل الإعلام! غابت الألفاظ الراقية، والحوار الراقي، والمعاملة الرقيقة ليحل محلها حوار متدن، وألفاظ سوقية، ومعاملات خشنة، كذب، نفاق، مناورات، خديعة، حتى في أكثر العلاقات خصوصية، رشوة.. فساد".. هكذا عبر أحد المعلمين(١) عن جوهر الأزمة التي نعانيها.. إنها أزمة أخلاقية بالأساس؛ فعلى الرغم مما نراه من اتساع حالة التدين في المجتمع بوجه عام وما يصاحبها من مظاهر؛ فإننا على الوجه المقابل نرى هذه الحالة من التدني الأخلاقي في علاقات التعامل فيما بين الناس بعضهم البعض والذي ينم عن حالة من تدني التقوى "الاجتماعية" في نفوس الناس.. فإذا كان هذا هو التشخيص الذي نعرفه ونتقنه جميعًا وتلوكه ألسنتنا في كل مجالسنا؛ فما هو العلاج الذي لا نكلف أنفسنا كثيرًا بالبحث عنه وإعماله في أرض الواقع؟

في السطور التالية أستعرض بشكل موجز قصة تجربة حاولت العلاج في زمن سابق من القرن العشرين، ثم أُعلق عليها بنظرات لأحد فلاسفة التربية لأصل به ما بدأت الكلام فيه.

سويسريان وسكندري :

التجربة هي تجربة "واحة الصبيان" التي جرت على أرض الإسكندرية في الفترة من عام ١٩٤٩ إلى عام ١٩٥٨، وأبطالها هم:

أولا- أحد الأعيان السويسريين وزوجته، بنيا ناديًا اجتماعيا "ليلم شعث الصبيان فيما وراء منطقتي فلمنج وبولكلي، من أحياء صناعية مزدحمة؛ كزعربانة، والظاهرية، والمنشية الجديدة، وعزبة الصفيح، والعقصة، والحمام، وغيرها؛ لتنظيم أوقات فراغهم في الإجازات، وبعد خروجهم من مدارسهم وأعمالهم عصر كل يوم؛ فتبعدهم عن لهو الشارع الخطر، وتوجههم إلى حياة أخلاقية عملية تشكل منهم جيلا من المواطنين الصالحين".

ثانيا- بطلها الآخر الأستاذ السعيد عاشور -الاختصاصي الاجتماعي الذي انتدبته وزارة الشئون الاجتماعية للإشراف على هذا النادي، الذي كان كما سجل في كتابه الذي وثق به تلك التجربة(٢)- قد تعرف وقتها على مبدأ جديد في الحياة؛ هو "التسلح الخلقي" واستخارة الله في كل شئون الحياة. وخلال جولة استكشافية له بالمنطقة التي يقع فيها النادي تعرف على صبيين، تصادق معهما بعد أن لعب معهما "الكرة الشراب"، وكانا متسربين من مدرستهما، واتفق معهما على

اللعب سويا في الغد بعد انصرافهما من الدراسة، لكنه فوجئ بأن الصبيين صارا عشرين صبيًّا، فنظم لهم دورة في الكرة في أحد الشوارع الهادئة.

وشيئًا فشيئًا وبمرور الأيام استطاع الاقتراب من الأولاد والتصادق معهم، والتعرف عليهم بصورة أوثق، وصار لعبهم ينتقل من شارع إلى آخر، ويقترب بهم شيئًا فشيئًا من مقر النادي حتى جاوروه، ثم ما لبث أن اجتذبهم إلى فكرة اللعب بداخله، وكان لا يزال تحت الإنشاء؛ فما إن انتهى حتى وجه إليهم دعوات لافتتاحه، وكانوا قد صاروا خمسًا وعشرين، ومع اللعب والأنشطة الرياضية استطاع الأستاذ السعيد أن يغير من أخلاقهم وسلوكياتهم.

الأعمال المُنهضة!! :

يحكي السعيد في كتابه كيف استطاع إحداث هذا التحول: "في هذه التجربة نجح الصبيان في أن يكونوا أخلاقيين في السر والعلانية؛ لأنهم أُفهموا كيف أن المجتمع فيه كثير من الكراهية والخيانة، وأن عليهم إن أرادوا خلق مجتمع أمين جديد أن يكافحوا في سبيل ذلك، بادئين بأنفسهم، وقد وجدنا أن خير سبيل لذلك هو الاسترشاد بالله ليرينا في وقت السكون والهدوء الذي نبدأ به نشاطنا بعد الصلاة أين يريد أن يوقعنا الشيطان،

وما هي الأعمال المُنهضة التي يريدنا الله أن نعملها في يومنا لنرقى في سلم الحياة اليومية السعيدة الذي رأيناه كما يلي:

شكر الله على ما منحنا من نعم لم نكن نتوقعها.

شكر الناس الذين أدوا لنا معروفا في يومنا.

الاعتذار عما وقعنا فيه من خطأ نحو الآخرين.

إصلاح العادات السيئة فينا واستبدال أخرى طيبة بها.

التفكير في مشاكل الآخرين ومساعدتهم.

الدعاء للمرضى والمساكين وزيارتهم".

وبهذا أصبح "اتق الله حيثما كنت" شعارًا عمليا لهؤلاء الصبيان، واقتداء بما كان يفعله الصوفيون الأوائل "شارط نفسك إذا أصبحت، وراقبها إذا أضحيت، وحاسبها إذا أمسيت".

ثم يحكي كيف كان يختلي بنفسه كل يوم تحت الشجرة في "وقت للسكون" يشارط نفسه ويحاسبها، ويومًا بعد يوم لفت أنظار الصبيان، فبدءوا يتجمعون حوله كالعصافير واحدا بعد الآخر؛ ليرقبوا ما يفعل، ثم ما لبث أحدهم أن سأله فأخبره، فأحب أن يجرب ذلك. وكما يعبر: "وكانت أولى خطواتهم في الأيام التالية أن وجدوا الشجاعة ليعتذروا عن أخطائهم اليومية

إلى ذويهم وزملائهم، ويحاولوا جهدهم ألا يعودوا إليها لتكون توبتهم كاملة.. وبهذه الطريقة تخلص الكثيرون منهم من عيوب مشهورة، كالكذب والسرقة والغش والإهمال، ثم كانت الخطوة التالية عندما بدءوا الكفاح للمساهمة في تغيير غيرهم كذلك؛ فإن اختلفوا على شيء لم يكن همهم الشكوى، بل أن يردوه إلى الحق ليحكم بينهم، وليريهم الله أين الصواب، لا أين المصيب أو المخطئ".

ويمضي الأستاذ السعيد بعد ذلك في كتابه يحكي قصصًا حقيقية عن تحولات حقيقية حدثت في حياة هؤلاء الصبيان وأخلاقهم الاجتماعية وضمائرهم، وصاروا بها أُناسًا آخرين، صالحين ومُصْلحين.

للنجاة من "أخلاق السوق" :

فإذا كانت تلك التجربة وهي في النهاية تجربة فرد واحد في مؤسسة واحدة قد أحدثت كل هذا التأثير -الذي حكاه في كتابه والذي ألمحنا إليه موجزًا- في مجتمعه المحلي المُحيط؛ فإن الأمر يدعونا للتساؤل:

أليست هذه مسئولية كل مؤسسات التربية في المجتمع؛ بداية من البيت، مرورًا بالمسجد والنادي، ومركز الشباب، والجمعية، وانتهاءً بالمدرسة؟ وتستطيع تلك المؤسسات إذا

استهدفت إحداث هذا التحول "الأخلاقي الاجتماعي" أن تحدث انقلابًا، لا.. بل ثورة في الأخلاق الاجتماعية للناس.

ولكن هل المطلوب فقط هو مجرد الترقيع في منظومة الأخلاق، واستبدال خلق سليم بآخر تالف، أم أننا في حاجة لكي نحدث تلك الثورة في الأخلاق الاجتماعية وأن نرى بمجمل البيئة الاجتماعية المحيطة بنا، وما حدث فيها من تحولات عظمت من مصيبة الانحطاط الأخلاقي الذي نعيشه، وأن علينا أن نستهدف تلك المنظومة بالوعي والرؤية النقدية التي تجعلنا قادرين على تغيير الواقع وبناء منظومة أخلاقية أكثر إنسانية؟

في محاولة للإجابة على تلك الأسئلة نقتطف بعضا من أفكار باولو فريري أحد أهم فلاسفة التربية في القرن العشرين في كتابه المترجم إلى العربية "تربية الحرية.. الأخلاق والديمقراطية والشجاعة المدنية"(٣):

أولًا- يضع فريري ما نعانيه من انحطاط أخلاقي في إطار منظومة أسماها "أخلاق السوق"، يقول: "بالنظر إلى أية دولة على ظهر الكرة الأرضية نجد أنها أصبحت أكثر وأكثر بأخلاق السوق".. وإذا كانت الأسواق كما نعرف من حديث الرسول هي "شر بقاع الأرض" فكيف بنا إذا تحول المجتمع كله إلى سوق؟!

وفي السوق كل شيء يباع ويشترى.. "كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها". وفي السوق: السيد هو منطق الربح، والربح وقوده الطمع والحسد (كما عبر إرنست **شوملخر** في كتابه "الصغير جميل")، وإذا امتلأت النفوس طمعًا وحسدًا عاثت في الأرض فسادًا، وكان منطقها فرديًا وأنانيا.. "أنا ومن بعدي الطوفان".

وفي السوق تبتلع الحيتان الكبيرة الأسماك الصغيرة، ويصير كما يعبر فريري "الضعيف ومن لا مدافع عنه في حكم المُدمَّر".

ثانيًا- في مقابل "أخلاق السوق" يتحدث فريري كثيرًا عما أسماه "أخلاق إنسانية عالمية"، التي تعني "أخلاق الأحرار" التي تضاد "أخلاق العبيد" التي تسود في ظل "ديانة السوق" (كما يعبر روجيه جارودي في الكثير من كتاباته)، أخلاق الأحرار تلك تسعى إلى تكوين "مدينة إنسانية فاضلة داعية للتضامن الإنساني"، إنها أخلاق مبناها أن "أفضل طريقة للنضال من أجل الأخلاق هو أن نحياها في عملنا التربوي"، والذي يراه فريري "مزيجًا من التشكيل المهني والتشكيل الأخلاقي".

ثالثًا- "أنه أيًا ما نقوم به للارتقاء بأخلاق إنسانية عالمية ما هو إلا جهد ضئيل مقارنة بالحاجة إلى ما يجب القيام به"، وأن هذا الارتقاء بالأخلاق يتطلب قدرًا عاليًا من "الشجاعة المدنية"

التي اعتبرها "من سمات الوعي بوجودنا في هذا العالم، ووجودنا مع العالم ومع الآخرين". وتنبع تلك الشجاعة المدنية أو "عناد الشجاعة من الغضب من الواقع -واقع أخلاق السوق وما تؤدي إليه- ومن التمرد عليه، ومن الأمل الإنساني المؤدي إلى أن وجود المرء في العالم هو من معطيات فعل الإنسان التاريخي، وليست معطيات مبرمجة محددة بشكل مسبق. فالوجود في العالم دون صنع التاريخ، ودون صنعه لهذا الوجود وجود مستحيل تمامًا، والدور الفاعل للإنسان في مسيرته التاريخية هو السعي من خلال الشجاعة المدنية والمخاطرة لصنع حياة أفضل".

رابعًا- يؤكد على محورية "الأمل" بجانب "العمل" في التغيير الأخلاقي الجذري الذي ننشده، فـ"طالما هناك عمل.. فهناك أمل"، فـ"إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها"، وكما يعبر فريري: "من المهم أن يصير العالم أمامنا حلما يستحق النضال من أجله، نضالًا من أجل تغيير جذري للأشياء، وهي في طريقها إلينا أكثر مما ننتظر ببساطة وصولها؛ لأن هناك من قال إنها ستصل إلينا بالضرورة يومًا ما".

أما وقد وصلت -السوق وأخلاقها- إلينا بالفعل؛ فليس أمام الإنسان إلا العمل على تغيير الواقع الاجتماعي والأخلاقي الذي نعاني منه؛ فبهذا يكون الإنسان كما خلقه الله وأراده الإسلام: "صانعا لتاريخه أكثر مما هو صنيعة له".

مصادر

١- عبد الحليم سعيد: رسالة إلى ابنتي العزيزة وإلى ولدي العزيز.

٢- السعيد محمد عاشور: بل من هنا نبدأ، أو تجربة واحة الصبيان.

٣- باولو فريري: تربية الحرية.. الأخلاق.. الديمقراطية.. الشجاعة المدنية، ترجمة أحمد عطية أحمد، تقديم حامد عمار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٤.

مها شحادة و"منهاج التفكر".. ريادة تربوية معاصرة

ألم فسؤال فجواب وتشخيص فعلاج،فتجريب للعلاج،فتقييم وتعديل، ثم في النهاية وصفة علاجية منهجية مفصلة ومبتكرة.. هكذا كانت الرحلة الطويلة لـ "مها شحادة" مع منهاج التفكر خلال رحلة من البحث طالت إلى عشر أعوام، وتوجت ثمرًا يانعًا يرعاه "مركز التفكر للتدريب والتطوير التربوي" فتذوق أطايبه ثلاثة وعشرون مؤسسة ما بين مدرسة وروضة ومركز وجمعية تنتشر بين ثمانية من بلدان العالم، وقبلها كانت رحلتها الخاصة مع الإيمان من خلال البحث والتفكر أيضا والتي امتدت عامين.

"التفكر".. بين رحلتين

ولدت مها سمير جميل شحادة في الكويت في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٧٠ لأسرة أردنية مسيحية ذات أصول فلسطينية من حيفا، وأتمت تعليمها الثانوي في مدرسة للراهبات بعمان، ثم درست علوم الحاسب في الجامعة الأردنية بداية من عام ١٩٨٨، وهو نفس العام الذي اهتدت فيه إلى الإسلام بعد رحلة للتأمل والتفكر والدراسة الذاتية بدأتها منذ عام ١٩٨٦، وهي الرحلة التي قالت عنها "تخيّلت ذاتي قد وُلدتُ في جزيرة نائية لا يوجد فيها من يوجّهني لأيّ ديانة، وتخيّلت أنّي قد

كبرت وبدأت أتأمّل في هذا الكون، حينها وجدت أنّ تفكيري سيقودني لحتميّة وجود من خلق هذه الجزيرة بكلّ طبيعتها وبكلّ ما يعتريها من ليل ونهار وطقس، حينها سأستدلّ على أنّ الله واحد من غير أن يحدّثني أحدهم بالإسلام."

أما رحلتها الأخرى فقد بدأتها "مها" عام ١٩٩٦، مرت خلالها بعدة مراحل بدأت بالإحساس بالمرض أو شرارة الفكرة التي جاءت وليدة مشاعر الألم من الضعف الذي تمر به الأمة، والمرتبة المتأخرة التي تتذيلها، تلتها مرحلة دراسة الأسباب: حيث بدأت مها رحلتها البحثية في محاولة لدراسة أسباب الضعف التي تعاني منها أمتنا، فوضعت مرض الوهن الذي شخصه الرسول صلى الله عليه وسلم قاعدة لهذه الدراسة، والوهن مرض قلبي دواؤه "حب الله تعالى والتعلق به"، فمن هنا كانت أهداف غرس حب الله في نفوس الأطفال أساساً في منهجية هذا البحث، ثم عكفت على تحديد الأسباب الأخرى التي تعوق التطور والنهضة فحددت منها ضعف القدرة على التفكير الإبداعي، وضعف القدرة على الإنجاز، وضعف الوازع الأخلاقي، وضعف الانتماء بتقديم المصلحة الفردية على مصلحة الأمة.

وهنا دخلت "مها" مرحلة العكوف على وضع الحلول لتلك المشكلات مستعينة بالقراءة في دراسات علم النفس والتربية خاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، كما حصلت على الدبلوم العالي في التربية من جامعة عمان للدراسات العليا.

وفي عام ١٩٩٦ بدأت بتجربة الحلول المختارة: حيث بدأت ألفت أول منهاج تجريبي شاركت معها في تطبيقه ثلاث رياض أطفال في الأردن، ثم قامت بالتعديل عليه وإعادة تأليفه كاملاً ومن ثم تجريبه ثلاث مرات في عدد من المدارس ورياض الأطفال على مدى الأعوام ٢٠٠٠، ٢٠٠١، ٢٠٠٢.

وخلال ذلك اكتشفت فكرة استخدام "عبادة التفكر" لغرس حب الله تعالى في نفوس الأطفال، ومن ثم دراسة كيفية تحويل هذه العبادة العظيمة إلى نموذج تعليمي في الغرفة الصفية للإفادة من أثرها على نفس وعقل وروح وسلوك الإنسان، حتى توصلت إلى "نموذج التفكر التعليمي المبتكر"، وهو النموذج الذي حصلت عنه على درجة الماجستير في علم النفس التربوي.

وعلى مدى ثلاث أعوام انطلقت لتطوير برامج تفصيلية من منهاجها الجديد؛ حيث قامت بتطوير وحدات تعليمية من المنهاج وتجريبها على مدى أعوام ٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥،

هدف دراسة أثر الاستراتيجيات التعليمية المستخدمة على شخصية الطفل، ثم قامت بفحص الاستراتجيات التعليمية المستخدمة في المناهج العالمية الحديثة عن طريق دراسة قرابة ثلاثين منهاجًا عالمياً في بناء القيم وتقدير الذات، وتنمية التفكير والإبداع والذكاء.

ولأنه لا رحلة بلا صعوبات، فقد واجهت "منها" صعوبات كثيرة لعدم وجود مؤلفات سابقة نظرية أو عملية في كيفية غرس حب الله تعالى في نفوس الأطفال، ولحاجتها للبحث والدراسة في علوم متنوعة وكثيرة مع استمرارية التطبيق والتقويم من أجل أن تنضج هذه الفكرة، حيث تنقلت بين علوم القرآن الكريم والتفسير والعقيدة، والفكر الإسلامي وعلم السلوك، وعلم المناهج وأساليب التدريس، وعلم النفس التربوي، والإرشاد النفسي، والدراسات المقارنة.

ملامح منهاج التفكر التعليمي

ونموذج التفكر التعليمي" هو نموذج يهدف إلى تحويل عبادة التفكر إلى نشاط إجرائي في الغرفة الصفية، يرتكز النموذج على آلية التفكر وأدواته، ويعمل على بناء الإيمان وغرس حب الله في نفوس الأطفال، كما ينمي قدرات التفكير

الإبداعي والتفكير الناقد وجملة من الذكاءات المتعددة في الوقت ذاته، ويساعد في تطوير السلوك الأخلاقي.

وبذلك فإن هذا النموذج يعمل على تنمية الطفل تنمية متكاملة، للإفادة من أثر هذه العبادة العظيمة على نفس وعقل وروح وسلوك الإنسان، وعلى تحصين الجيل القادم بحب الله والإيمان اليقيني الذي ينتج عنه السلوك الأخلاقي الذي ترقى به أمتنا.

ويقوم البناء التنظيمي للمنهج الذي يحقق تلك الأهداف على نظام الوحدات التي تحقق كلًّا منها بناءً تراكميًا للأهداف والمفاهيم، مع التركيز على ثلاثية بناء (الإيمان والقيم الأخلاقية وتقدير الذات) باستخدام نموذج تعليمي مبتكر يستند إلى التفكر من أجل بناء الإيمان وتطوير السلوك الأخلاقي.

ويتركز النموذج التعليمي حول دور الطالب، مع توظيفه لمبادئ أبحاث الدماغ في تصميم دروس المنهاج، واستناده إلى نظرية الذكاءات المتعددة، واستراتيجيات التفكير الناقد والإبداع، مع مراعاة خصائص النمو في مرحلة الطفولة، مستخدمة شخصية "أنوس" نموذجًا، مع استخدام القصص التي تغرس الحب، والأحاديث والأدعية، والأناشيد، والألعاب، والمشاريع التي يقوم بها الطفل في كل وحدة تعليمية، واستخدام

استراتيجيات حل المشكلات والتخيل الموجه، وبناءً على ذلك ينقسم المنهج إلى ثمان مستويات، تبدأ من سن الرابعة وتنتهي في سن الثانية عشرة.

من المنهاج إلى المؤسسة

لم تكتف "مها" ببناء المنهج والنموذج ووضعه في بناء تراكمي وتجريبه، بل إنها أنشأت مؤسسة "مركز التفكر للتدريب والتطوير التربوي" والذي يشرف على تأهيل مدرب التفكر المعتمد، ومساعدة المؤسسات التعليمية على النهوض بكوادرها من خلال برامج تعليم التفكير وتنمية الإبداع والذكاء.

كما يقوم المركز بإعداد مناهج ترتكز على نموذج التفكر التعليمي، والعمل على إحياء عبادة التفكر وتقديمها عالميًا عن طريق هذا النموذج، والقيام بالبحوث العلمية التي تساعد في تطوير البرامج التربوية، كذلك يشرف المركز على إقامة علاقات مهنية مع المؤسسات التعليمية والتربوية العربية والإسلامية.

ومن أجل القيام بتلك المهام يقوم المركز بطباعة ونشر وتوزيع منهاج التفكر محليًا وعربيًا وإسلاميًا، وعقد دورات تدريبية داخل الأردن وخارجه لإعداد الكوادر التعليمية، وعقد

ندوات ومؤتمرات لمناقشة المنهاج، وإجراء البحوث والدراسات لتطوير المناهج الدراسية لدمج مهارات التفكير والإبداع والذكاء فيها، ومن أجل ذلك ينقسم المركز إلى أقسام: التدريب والتطوير، والطباعة والنشر، والبحوث والدراسات، وتنظيم الندوات والمؤتمرات، وقسم الترجمة.

ملتقى تربوي

لمتأمل لتجربة مها شحادة ومنهاج التفكر يستطيع أن يخرج بعدد من الدروس والملاحظات؛ أولها أن الإنسان حر الإرادة القادر على التفكير المنطقي والمنهجي والمبدع في آن واحد هو البضاعة أو الصناعة التي يجب أن تتوجه إليها جهود الأمة لتغيير حالها اليوم وغَدًا.

وثاني هذه الدروس أننا نحتاج إلى بذل الكثير من الجهد لتحويل القيم والمعاني القرآنية المجردة التي خُطبنا بها منذ ما يزيد عن أربعة عشر قرنًا إلى مناهج وبرامج لتحويلها إلى أناسي من لحم ودم يمشون على الأرض، وأن أمامنا الكثير لكي نفعل ذلك، ولما نفعله بعد.

وثالثها؛ أن هناك الكثير من الجهود التعليمية والتربوية التي حاولت في الماضي القريب، والتي تحاول في الحاضر المشاهد أن تسير في نفس طريق "المنهاج"، ويبدو أننا نحتاج الكثير حتى

يحدث التعارف، وتبادل الخبرات والمعارف وتراكمها في هذا المجال منعًا للتَكرار وبداية كل تجربة من الصفر، ولعل شيئًا مثل تنظيم ملتقى دائم لأصحاب تلك الخبرات والتجارب والمهتمين بها يكون حلا مثاليًّا لهذا الأمر.

تبقى في النهاية رحلة "مها شحادة" سواء على المستوى الشخصي أو على المستوى العملي العام نموذجًا في الإرادة والإبداع لا يصعب تكرارها بتوفيق الله، وهو الدرس الذي أشارت إليه صاحبته، والذي علينا أن نستصحبه دائمًا في سعينا: "ربما كانت التحديات كثيرة ولكن تيسيرات الله ورحمته لم تفارق هذا البحث"، وهي بالتأكيد لن تفارق كل ساعٍ للنفع والمصلحة العامة ابتغاء مرضاة الله.

الموجي.. العلم والبيزنس في خدمة "الهوهوبا"

سمعت عنه لأول مرة من الدكتور طارق قابيل أستاذ التكنولوجيا الحيوية المساعد في كلية العلوم، بهرتني قصته، فقررت زيارته، تم ترتيب اللقاء بشكل سلس، ومن ثَمَّ كانت الزيارة، وقد بدت لي التجربة جديرة بالكتابة والتأمل.

إنها تجربة رجل أعمال مصري صميم، لم ولن يقتحم ميدان السياسة، ولا ولن يحتكر سلعة أو معرفة، بل كرس حياته وحياة شركته وأعماله لنشر الوعي بالنبات الذي يرى فيه أمل مصر، وهو تنمية الصحراء، ويرى في النموذج المتكامل للتنمية الذي يقدمه ما يُغنيه عن أضواء السياسة ومزالقها.

إنه الأستاذ نبيل الموجي بطل حكاية "الهوهوبا" المصرية، الذي يقدم نموذجا يُحتَذَى لرجل الأعمال ودوره في التنمية من خلال عمله ومشاريعه.

النموذج وبداية الحكاية

خلاصة هذا النموذج هو تكامل الزراعة والصناعة والتجارة، وفوق ذلك، وهو الملمح الأبرز، البحث العلمي، وذلك عبر نبات "الهوهوبا."

أما الحكاية فيرويها على موقع "الشركة المصرية للزيوت الطبيعية": كانت البداية في شتاء عام ١٩٨٤ أثناء رحلة عمل في مجال الكمبيوتر، حيث قرأت في إحدى المجلات الأمريكية خبرًا صغيرًا مفاده أن مصر استوردت عام ١٩٨٠ (٤٠%) من احتياجاتها الزراعية، ومن المتوقع أن تزيد النسبة عام ٢٠٠٠ لتصبح (٨٠%)، شعرت ساعتها بألم لتقديرات هؤلاء الخبراء وقررت أن أستثمر في مجال الزراعة في مصر، ثم كان أن قرأت يوم الثلاثاء ١٩٨٥/٥/٧ مقالًا في إحدى الصحف العربية عن زراعة الصحراء، حيث ذكر كاتبه أننا كعرب نشتكي من أن أغلب أراضينا صحراء قاحلة والمياه قليلة، بينما هناك نباتات تناسبها هذه الظروف وعائدها مجز جدًا، وعلى رأسها شجيرة "الهوهوبا"، والتي يصل عائد الفدان منها إلى خمسين ألف دولار سنويا، ومنذ هذا التاريخ بدأت رحلتي مع "الهوهوبا."

التجربة وعناصر النجاح

أما ملامح الرحلة والتي تتبلور فيها عناصر النجاح فهي كما يلي:

-جمع المعلومات العلمية :بدأت في تجميع معلومات عن الهوهوبا، فقمت بالاشتراك في المجلة العلمية للهوهوبا، كما قمت بالاشتراك في جمعية منتجي الهوهوبا وجمعت كل الأبحاث

الخاصة بالهوهوبا، سواء الخاصة بالزراعة أو الاستخدامات والتطبيقات الخاصة به، واكتشفت أنه تعقد مؤتمرات دولية دورية عن الهوهوبا، وفي أوائل عام ١٩٩٠ قمت بزيارات خارجية للوقوف على زراعات الهوهوبا في دول العالم المختلفة، وكانت محصلة الزيارة والمناقشات العلمية مع الخبراء في مختلف الدول، أنه لإدخال زراعة الهوهوبا إلى دولة معينة يجب تجربتها أولًا على نطاق محدود لمدة زمنية من أربع إلى ست سنوات للتأكد من مدى ملاءمتها للظروف المناخية والبيئية للدولة، وللوصول إلى أفضل المعاملات والسلالات من أشجار الهوهوبا بعد زراعتها بالبذور، حيث إنه لا تتوافر شتلات ناتجة بالإكثار الخضري ومنتخبة من أمهات عالية الإنتاج للوصـــــول إلى أفضل الشجيرات (الأمهات) التي يمكن أن تكون أساسا للتوسع في زراعة الهوهوبا.

-جمع المعلومات الميدانية :في نهاية عام ١٩٨٨ حضرت محاضرة لوكيل وزارة الزراعة في هذا الوقت، وكانت حول الزراعة في الأراضي الجديدة، وكان ملخصها أن أول تجربة للزراعة في الوادي الجديد فشلت تمامًا لأن الأراضي الجديدة تحتاج إلى فكر جديد، ولا يمكن نقل فكر الوادي القديم إليها، وسألته عن الهوهوبا، فأبلغني أن منظمة الأغذية والزارعة بها

مشروع كبير لإدخال شجيرة الهوهوبا في الشرق الأوسط، ومسئول البرنامج في مصر هو الدكتور محمود هاشم البرقوقي، فاتصلت به، وأثناء حديث لي معه عام ١٩٩٠ سألته لماذا لم يتم زراعة الهوهوبا في مصر؟ فأبلغني بأن القطاع الخاص ليس على استعداد لزراعة نبات لا يعرف ماذا سيفعل بمحصوله، كما أن الجهات الحكومية تفضل زراعة القمح والذرة على الهوهوبا، فسألته: ولكن كيف ستتقدم مصر وتتطور الزراعة والتصنيع الزراعي بها والجميع يخشى الجديد في الزراعة؟ وحينما أبلغته برغبتي في زراعتها والعمل على نشرها كان رده: "الله يعينك ويوفقك على هذا الحمل الثقيل."

-المبادرة :وعلى هذا الأساس قمت بشراء مزرعة في الإسماعيلية مساحتها ٢٢ فدانا تروى بمياه آبار بها نسبة ملوحة متوسطة، وعرضت نتائج تحليل التربة والمياه على الدكتور البرقوقي، وأبلغني بمناسبة الهوهوبا لهذه التربة والمياه، وبعد استخارة الله قمت بتقسيم أرض المزرعة إلى أربع قطع، كل قطعة مساحتها حوالي خمسة أفدنة، وفي أوائل عام ١٩٩١ زرعت مساحة خمسة أفدنة بالهوهوبا عن طريق البذور، وتم زراعة نخيل حولها بهدف معرفة مدى مناسبة التربة والجو في مصر للهوهوبا وكذلك للوصول إلى أفضل الشجيرات المنتجة

للبذور، والتي عن طريق الإكثار بالعقل يمكن توفير شتلات لنشر زراعتها في مصر، وزرعت بباقي مساحة المزرعة نخيلًا وزيتونًا وعنبًا على أساس أن الهوهوبا في حالة نجاحها سأستفيد منها وأنشر زراعة جديدة في مصر، وفي حالة عدم نجاحها يتم الاعتماد على النخيل والزيتون والعنب، فقناعتي هي أن مجتمعنا لن يتقدم دون أن نقدم له الجديد، وخاصة في مجالي الزراعة والتصنيع الزراعي.

-التجربة والملاحظة :ومنذ بداية عام ١٩٩١ وأنا أتابع نمو الهوهوبا، حيث ثبت لي خلال السنوات الماضية أنه من أنسب النباتات للزراعة في الصحراء المصرية لاحتياجه القليل للمياه وقدرته الكبيرة على تحمل العطش لفترة يمكن أن تصل إلى عدة أشهر، وتحمله للملوحة حتى ١٠ر٠٠٠ جزء في المليون، وقلة حاجته للرعاية من ناحية التسميد والتقليم والخدمة، وندرة إصابته بالأمراض وقلة حاجته للرش الوقائي أو العلاجي، ومناسبة جو الصحراء المصرية له، حيث يحتاج للحرارة صيفًا وبرودة لا تصل لدرجة التجمد شتاء، وإنتاجه آمن، بمعنى أنه لا ينتفع به غير المتخصصين، فلذلك لا يحتاج إلى حراسة، ويمكن جمع الإنتاج فور نضجه أو بعد ذلك بفترات طويلة عند توفر العمالة اللازمة للجمع، كما يمكن تخزين المحصول لفترات طويلة.

-البناء على نتائج التجربة: وفي عام ١٩٩٤ قمت بإنشاء مشتل في المزرعة لإنتاج شتلات هوهوبا من خلال العقل المنتخبة من شجيرات مؤنثة عالية الإنتاج لتوفير الشتلات اللازمة للتوسع في زراعة الهوهوبا واكتساب الخبرة اللازمة لإنتاجها، وبحمد الله تم اكتساب الخبرة بعد تجارب استمرت ثماني سنوات، وقد لاحظت أن الهوهوبا المتزرعة بجوار النخيل هي أفضل شجيراته، مما يعني أن التوافق بينهما كبير، بحيث يمكن زراعتهما متجاورين بكفاءة عالية مما يحقق أفضل استغلال للأرض، وفي بداية عام ١٩٩٦ قمت بشراء أرض إضافية لزراعتها بالهوهوبا والنخيل فقط، حيث ثبت أنه يمكن زراعة فدان نخيل وفدان هوهوبا في نفس الوقت، حيث يمكن الحصول على عائد إضافي من زراعة النخيل والهوهوبا، بحيث لا يقل دخل الفدان الصافي.

بعد ذلك تساءلت كيف يسوق المزارعون الجدد محصولهم ويحصلون على عائد مجز، ومن هذا المنطلق قمت بتأسيس الشركة المصرية للزيوت الطبيعية عام ١٩٩٦ مع شركاء مقتنعين بأهمية الهوهوبا، للعمل على نشر زراعة الهوهوبا من خلال التعاقد مع المزارعين على الزراعة وشراء محصولهم، وقد قامت الشركة بإنشاء معصرة صغيرة في العاشر من رمضان

لعصر بذور الهوهوبا بالإضافة إلى استيراد كميات من الزيت لتوفير المادة الخام لفتح آفاق جديدة لاستخدام منتجات الهوهوبا قبل زراعته بكثافة.

-البحث العلمي.. عملية مستمرة :قمت بالاشتراك في العديد من المؤتمرات العلمية منذ ١٩٩٧ تابعت فيها آخر الأبحاث عن الهوهوبا، كما قمت بزيارة المزارع الكبيرة للهوهوبا في ولايتي أريزونا وكاليفورنيا الأمريكية، كما قامت الشركة بتمويل العديد من الأبحاث العلمية بالتعاون مع المؤسسات العلمية المصرية للتوصل إلى منتجات جديدة، وذلك من خلال خطة بحثية ذات ثلاثة محاور: الأول قصير المدى للأبحاث في مجالات الطب والصيدلة والتجميل، والثاني متوسط المدى للأبحاث في مجالات المبيدات الطبيعية والصناعة وإضافات الزيوت الصناعية، والثالث طويل المدى للأبحاث في مجال زيوت المحركات والوقود الحيوي، وذلك لاستيعاب الإنتاج المحلي والعربي بمنتجات قادرة على زيادة القيمة المضافة لإنتاجنا الزراعي.

-الترويج والتسويق: قامت الشركة بمجهودات كبيرة للتعريف بنبات الهوهوبا، وذلك بإذاعة عدة حلقات عنه في برامج تليفزيونية مختلفة منذ عام ١٩٩٦، والكتابة عنه في أهم

الصحف المحلية لنشر الوعي بأهمية زراعته في الأراضي الجديدة وتعريف المزارعين الجدد بأهميته، كما تم الاشتراك في العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والاشتراك في معارض صحارى الزراعي منذ عام ١٩٩٦ لتعريف المزارعين بأهمية النبات واستخداماته وجدواه الاقتصادية.

-توثيق التجربة: وهنا لا بد من تسجيل الإشادة بحرص صاحب التجربة على توثيقها في الشكل الحكائي الذي أورده على موقعه تحت عنوان "التجربة المصرية"، فتوثيق التجارب والخبرات سواء على المستوى الاقتصادي أو الاجتماعي هو "ألف باء النهضة"، فمن خلال التوثيق يستطيع صاحب التجربة أن يبني عليها ويطور فيها، فيصبح يومه خيرًا من أمسه، وغده خيرًا من يومه.

التجربة تجليات.. وثمرات

وإذا كانت التجربة قد تكاملت فيها عناصر النجاح، فقد كان لهذا النجاح تجليات وثمرات:

التجليات :حيث أنجزت الشركة من خلال مسيرة البحث العلمي المستمر تسجيل وإنتاج أدوية ومركبات تجميلية مصرية جديدة تستخدم زيت الهوهوبا كماده فعالة أساسية والحصول على براءات اختراع محلية ودولية لها وطرحها في الأسواق

وتصديرها إلى الدول العربية، وتسجيل وإنتاج أول مركب طبيعي للقضاء على الحشرات والآفات الزراعية والعمل على التوصل إلى مركبات جديدة أخرى، والتوصل من خلال أبحاث مع الجامعات المصرية إلى وقود حيوي للسيارات (بديل للبترين) ومحركات الديزل (بديل للسولار)، وإلى زيوت محركات طبيعية وإضافات لزيوت المحركات والزيوت الصناعية، والتوصل إلى استخدامات جديدة للزيت في مجالات الطب البيطري والصناعة.

الثمرات :في يونيو من عام ٢٠٠٢ تم اختيار الشركة المصرية للزيوت الطبيعية كأفضل مشروع ابتكاري في غرب آسيا في مؤتمر الابتكارات للمشاريع الصغيرة والمتوسطة المنعقد في البحرين تحت إشراف منظمتي الإسكوا واليونيدو، كما قامت منظمة أشوكا العالمية باختيار رائد زراعة وتصنيع الهوهوبا في مصر (نبيل الموجي) عام ٢٠٠٧ كأحد زملاء أشوكا والذين يتم اختيارهم على أساس أنهم يقدمون خدمات جليلة لبلادهم، حيث يطلق عليهم اسم "المبدعين الاجتماعيين" والذين يساهمون في تقدم مجتمعاتهم.

للمزيد حول التجربة والنبات:

طالع موقع الشركة المصرية للزيوت الطبيعية

http://www.natoileg.com/home.htm

خزف جراجوس.. دين وفن وتنمية

منذ عدة أعوام أتلقى دعوة سنوية لزيارة معرض خزف "جراجوس Garagos"، حيث يتم عرض منتجات تلك القرية الصغيرة بمدرسة العائلة المقدسة في الفجالة -أحد أحياء القاهرة- خلال شهر ديسمبر من كل عام. والمتأمل في قصة هذه القرية يجد علاقة تأسست على مر السنين لتربط الدين بالفن والتنمية، مما ألهم الفنانة التشكيلية إيمان مهران لتتخذها موضوعا لكتابها المنشور عام ٢٠٠٢ بعنوان "خزف جراجوس".

"جراجوس" هي إحدى قرى مركز قوص بمحافظة قنا تقع إلى الشرق من نهر النيل على مساحة ١٦٢٥ فدان، وتتكون من سبعة نجوع يسكنها ٣٥ ألف نسمة ٥% منهم من المسيحيين، ويوجد بالقرية كنيستان: كاثوليكية مبنية منذ عام ١٨٦٣، وأرثوذكسية بنيت عام ١٩٥٨، ونشاط السكان الرئيسي هو زراعة قصب السكر الذي يغطي مساحة ألف فدان.

أول من لفت النظر إلى قرية جراجوس هو الأب هنري أمين عيروط مؤسس الجمعية الكاثوليكية للمدارس المصرية (جمعية الصعيد للتنمية لاحقا)، حيث أقام في القرية موفدًا من

"الجزويت" وأنشأ بها مدرسة ابتدائية، وفي عام ١٩٤٥ جاء راهبان من الجزويت حيث تعلموا العربية وأحبوا جراجوس وأقاموا بها، وحاول الفرنسيون تنمية القرية من خلال آباء الجزويت الوافدين للكنيسة الكاثوليكية أو البعثات الأثرية الموجودة في منطقة دندرة القريبة من القرية.

وترجع فكرة بناء مصنع للخزف بالقرية إلى مسيو لوفريه أحد أفراد البعثة الأثرية، وتحمس لها الأب مونجولوفييه، واستعان بالمهندس حسن فتحي لبناء هذا المصنع، وتتابع عدد من الفرنسيين والسويسريين على تعليم أبناء القرية صناعة الخزف بكافة جوانبها الحرفية والكيميائية والتشكيلية بداية من عام ١٩٥٥ حتى اكتسبوا مهارة عالية، مكنتهم من إقامة أول معرض لهم بالقاهرة في تلك الفترة، وبالرغم من خروج المعلمين الأجانب بعد العدوان الثلاثي على مصر، فإن المجموعة التي تدربت استطاعت إدارة الورشة بنجاح، وقد ظلت الورشة تابعة مباشرة للكنيسة حتى عام ١٩٦٦ حيث سلمت إدارتها للمتدربين الـــ٥ الأوائل بشروط خاصة وضعتها الكنيسة.

منتج جراجوس بين السياحي والمحلي

كان للآباء اليسوعيين الفضل في إلحاق القرية بالخريطة السياحية للسائح الفرنسي والألماني، ومن ثم فقد توجه الإنتاج

لإرضاء السائح حيث أصبحت المنتجات أكثر رمزية وأخف وأصغر حجمًا حتى تتناسب مع السياح، وقد بدأت الورشة إنتاجها بالنحت الشعبي المستلهم من داخل بيئة جراجوس وحياة الفلاح، كما اتجهت بعض الأعمال للرموز والفنون القبطية بأشكالها المتنوعة، وفي البداية لم يسع منتج خزف جراجوس لإرضاء ذوق المستهلك المحلي، فقد اعتمد على الوافدين الأجانب للقرية وانصب عليهم توجه المنتج، وبعد الانتكاسة التي شهدها سوق السياحة مع "حرب الخليج" و"حادث الأقصر" بدأ بعض التغير على طبيعة منتج جراجوس، حيث اتجه لصناعة بعض الأدوات المنزلية والتماثيل القبطية والقليل من القطع النحتية الشعبية، وصار نشاط المصنع متركزًا على معرضين سنويًّا أحدهما بالقاهرة في شهر ديسمبر بمدرسة العائلة المقدسة بالفجالة، والآخر في شهر مايو ويقام بكلية سان مارك بالإسكندرية، وهو إنتاج موجه للمستهلك المحلي بالأساس.

ورشة جراجوس.. مراحل وخامات

تحتل ورشة الخزف مساحة ٦ قراريط من الفدان ونصف المزروعة حولها، ويعمل بالورشة ثلاثة معينون بشكل رسمي وأربع شركاء واثنان غير منتظمين، وفي الإجازات يعمل

الأطفال حيث يفضل السياح الأعمال ذات الأشكال المجردة التي عادة ما ينفذها الأطفال، ويصبح الحرفي أسطى في الورشة بعد مروره بمراحل العمل المختلفة وإتقانه لها وتمرسه في مدة لا تقل عن خمس سنوات.

يمر العمل بعدة مراحل وهي المتعارف عليها في صناعة الخزف:

• المرحلة الأولى: تجهيز الطين وإعداده للتشكيل منذ جمعه كأحجار، وحتى يصل شكله كعجين متماسك، ثم يخزن، ويتم بعد ذلك إعداده حسب الحاجة فيتم تصفية الطين من الهواء حتى لا تكسر القطعة أثناء جفافها أو حرقها، ويجلب الطين من منطقة أبو الريش بأسوان، حيث يشترى كل ٦ سنوات من ٢٠ إلى ٣٥ طنًا، ويتم تحضير الطين باستخدام خلاط حيث يوضع حجر الطين في البرميل ويدار الموتور ثم يفتح عليه الصنبور، بعد ذلك يمر الطين سائلًا في قنوات ذات ثلاث غرابيل، ثم تنزل في الحوض، وبعد يوم يترسب الطين ويتم دفع المياه ليكون الناتج طين ارتفاعه ٢٠ سم ويخزن الطين في غرفة مخصصة لذلك لمدة شهرين، ويغطى بالخيش المبلول ويرش يوميا.

- المرحلة الثانية: وهي تشكيل الطين حيث يتم الضغط على قطعة الطين باليدين لإخراج الهواء منها منعا للكسر أثناء التشكيل، ويتم التشكيل في القوالب أو على عجلة الفخار، واسم العجلة نابع من قرص التشكيل الذي يتحرك بلفه عن طريق قرص خشبي من أسفل، ويديره الجالس بالقدم اليُسرى فيلف معه قرص التشكيل العلوي، وقد قام أول المدربين الفرنسيين باستبدال بدال عجلة يدور على "رمان بلي" بالقرص السفلي المعتاد، ويوجد في الورشة ٣ عجلات، كل عجلة منها تمتد على مساحة متر ونصف، ويتم جرد الشكل عند انتهاء تشكيله، ثم يسحب من أسفل لأعلى. وهنا لا بد من الإشارة إلى وحدات التصميم الخاصة بخزف جراجوس فهناك الصلبان والأسماك والأسد والفأر، وسعف النخيل والديوك، وتنفذ الوحدة المصممة بالحفر أو التفريغ أو التلوين أو الكشط بعد دهان الجليز. وترجع شهرة خزف جراجوس إلى التوقيع أسفل المنتج باسم القرية بالعربية أو الفرنسية أو الإنجليزية سواء بالكشط بعد الدهان أو بالكتابة على السطح الفخاري المحروق.

- المرحلة الثالثة: التحفيف حيث توضع القطع في غرفة التجفيف وهي غرفة بلا شبابيك والباب فيها بعيد عن مكان

الأرفف وهي مرحلة لها أهميتها حيث إن بقاء أي نسبة من الماء في الشكل يؤدي إلى كسره في مرحلة الحرق.

- المرحلة الرابعة: هي الحريق الأول الذي يحتاج لرص الفرن.

- المرحلة الخامسة: هي التحليز، وتكون مسئولة عن اللون النهائي للمنتج الذي يعتبر من أهم مميزات منتجات جراجوس، وتسمى بمرحلة الحريق الثاني؛ لأن أهم ما فيها هو خروج اللون بعد الحريق كما هو متوقع.

الفرن الأساسي لعمليات الحريق الأول والثاني كان يعمل بالسولار والخشب وأنشأه روبير، أحد أوائل المدربين الفرنسيين في بداية الخمسينيات، بينما يعمل الفرن الحالي بالكهرباء وأُنشئ عام ١٩٩٤ باستخدام الطوب الحراري، وتصل درجة الحرارة في الأفران إلى ٩٨٠درجة، وبعد فصل الكهرباء عن الفرن يترك مُغلقًا يومًا كاملًا، وذلك لتجنب كسر الأشكال نتيجة لفرق درجات الحرارة، وبعد الحريق الأول يتم تنظيف الشكل، ثم يصنفر وينظف بالإسفنج المبلول بالمياه.

ولخزف جراجوس ألوان مميزة أشهرها الأزرق من الكوبالت، والأخضر الفرعوني ويستخدم فيه أكسيد النحاس، والأصفر من أكسيد الأنتيمون، والأخضر من أكسيد الكروم.

قلة الصناع والمشترين

من أهم الملاحظات التي أشارت إليها الباحثة في كتابها هي قلة حرفيّ الخزف في جراجوس وأرجعت ذلك إلى الاعتماد على العمالة غير الدائمة، وصلة القرابة من الدرجة الأولى والثانية بين العاملين في الورشة، والرغبة في عدم انتقال "سر المهنة" وسر تميزها إلى خارج الدائرة الضيقة لها فتنتفي الشهرة والتميز، أيضًا أشارت إلى أن الخزف كمنتج لم يتحرك كالنسيج والكليم، حيث لم يلق الترويج والتسويق للمنتج اهتمامًا على المستوى المحلي داخل مصر اعتمادًا على وجود سوق أساسية من السياح، فلما تأثرت السياحة سلبًا ببعض الأحداث تأثر توزيع المنتجات ومن ثم إنتاجه.

كما لاحظت رواج المنتجات الفخارية عن الخزفية في البيع، وهي المنتجات التي تنتجها منطقة حجازة المجاورة وذلك لرخص ثمنها ولأنها تستخدم لأغراض الحياة اليومية "الضرورية" للناس، بينما يستخدم الخزف للأغراض الجمالية "التحسينية". ولعلنا نشير في النهاية أن شهرة خزف "جراجوس" والاحتفاء الفرنسي به كانت توحي خطأ بأنه من إنتاج أهل القرية جميعًا كما هو الحال في الكليم مثلًا، إلا أن الدراسة أثبتت أنها مهنة قاصرة على عدد محدود من أهل القرية.

المصدر:

إيمان مهران، خزف جراجوس، تقديم صفوت كمال، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، مايو ٢٠٠٢

تطورات جديدة للعمل الخيري

أصبحت موجة التدين الجديد ظاهرة لا تخطئها العين، وهي ظاهرة أوسع من الحركات الإسلامية، تتبادل معها التأثير والتأثر لكنها لا تستوعب فيها، وقد أخذت هذه الظاهرة تتبلور في شكل تجمعات شبابية من المتدينين الجدد تتمحور حول العمل الخيري، فيما يبشر بإمكانية عودة روح التطوع من أجل "الخير العام" إلى مجتمعاتنا خاصة مع تدفق موجات الشباب على العمل الخيري تدفقا جعل منه "موضة" نرجو أن تنمو لتصير "روحًا" تسري في أوساط الناس. وفي السطور التالية نتتبع آثار أقدام القافلة.. قافلة الخير الجديدة، وبعد أن نرسم معالم الصورة ننظر إليها بعين المحب التي ليست عن كل عيب كليلة.

كلمة السر: ١٩٩٩

عندما خرجت السياسة من الشباك دخل العمل التطوعي الخيري من الباب، هذه هي العبارة التي يمكنها أن تلخص بإيجاز "قصة جمعيتين".

ففي النصف الثاني من عقد التسعينيات سحبت مظلة السياسة التي كانت تظلل حركة الشباب في الجامعات المصرية

قسرًا، بينما خارج أسوار الجامعة كان تيار جديد للتدين العام يتشكل، تيار بعيد عن السياسة والأيديولوجيا، آخذ في طريقه قطاعات جديدة من الشباب تنتمي بالأساس للشرائح العُليا من الطبقة الوسطى إضافة لجميع شرائح الطبقة العُليا من المجتمع.

في ظل هذا المناخ خرجت طائفتان من الشباب حاملة لواء العمل الخيري التطوعي، جاءت إحداهما من جامعة القاهرة وبالتحديد من كلية الهندسة لتؤسس "جمعية رسالة للأعمال الخيرية". أما الثانية فقد جاءت من الجامعة الأمريكية بالقاهرة لتؤسس "فاتحة خير.. متطوعون للتنمية". وكأن كلمة السر كانت "١٩٩٩"؛ ففي ذلك العام تأسست الجمعيتان لتقدما نمطًا مختلفا من العمل الأهلي الخيري لا يعتمد على كبار السن أو الموظفين من أرباب المعاشات، ولا يقدمه شرائح المتدينين التقليديين أو المسيَّسين الملتفين حول المساجد؛ بل يعتمد بالأساس على شباب "مختلف" يتطوع بجهده وماله ووقته من أجل مد يد العون للشرائح الفقيرة والمهضومة الحق في المجتمع، شباب عرف طريقه إلى شبكة الإنترنت منذ عرف طريقه إلى العمل الخيري.

ظاهرة كـ"قطعة الجيلي"

إذا كان انسحاب السياسة من الجامعات قد مثل مُؤثرًا "بالسلب" في نشأة الموجة الجديدة من العمل الخيري، فإن ثمة بيئة أثرت بالإيجاب وسبقت في الوجود رسالة وفاتحة خير، ومن ثم لا بد أن تذكر قبل استكمال المسير أن تلك البيئة – فيما أظن– تهيأت فيها البذور الجنينية لظاهرة التدين الجديدة التي بدأت تأخذ طريقها في أوساط أبناء النخب الاقتصادية منذ أوائل التسعينيات، كان لدعاة مثل "عمر عبد الكافي" و"حازم صلاح أبو إسماعيل"، ولظاهرة مثل حجاب الفنانات المعتزلات أثرها في غرسها إما مباشرة أو بشكل غير مباشر.

وعندما أخذت تلك الظاهرة في الاتساع في نطاق "الدقي والمهندسين" وبدأ صداها يسمع خارجها، وما لبثت الحكومة أن انتبهت إلى خطورتها على "الأمن العام" –من وجهة نظرها بالطبع– ومن ثم قررت منع الدكتور "عمر عبد الكافي" عام ١٩٩٦. ولأن التدين روح تنساب بين الناس لا يمكن إيقافها بقرار بمنع "س" أو "ص"، ولأنه لا يمكن إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ليعود الناس إلى عقد الستينيات؛ عقد الدولة البوليسية، والحيطان ذات الآذان والشعب المستأنس الذي يعمل أفراده "مستخدمين" لدى الدولة؛ فقد عادت الظاهرة للانتشار

والاتساع بشكل أكبر من ذي قبل وكأنها قطعة من الجيلي، ما إن تضغط عليها من ناحية حتى تقفز من أخرى، لكن الطريف أن قطعة الجيلي قفزت هذه المرة من نفس المكان: الدقي والمهندسين وما حولهما، وذلك مع ظهور "عمرو خالد" كوجه شبابي جديد في نفس عام إيقاف عبد الكافي؛ أي عام ١٩٩٦.

بيئة من العمل الخيري النسائي "الشيك"

على حواف موجة التدين الجديدة تلك كانت هناك موجة عمل خيري آخذة في التشكل يغلب عليها الطابع النسائي، تبلورت حول الحاجة "ياسمين الخيام" وجمعيتها، وامتدت إلى نفس الشريحة من "النخب" النسائية والبناتية -إن جاز التعبير- في مناطق أخرى، لكنها لم تشكل ظاهرة إلا عندما ظهرت جمعيتا "رسالة" من ناحية، و"فاتحة خير" من ناحية أخرى، وقبل ذلك بزمن كانت اللجنة النسائية التابعة للجنة الزكاة بمسجد صلاح الدين بالمنيل بيئة أخرى للعمل الخيري الذي يقوم به المتدينون "الشيك"، كإحدى النقاط المتقدمة في العمل الخيري التقليدي، ومن ثم فإنها ما لبثت أن استقطبت بعض الشباب "الشيك" أيضا الراغب في العمل الخيري في موجاته الجديدة.

كانت "رسالة" و"فاتحة خير" هي الأطر الخيرية التي استوعبت الموجة الأولى من الشباب المتدين تدينًا جديدًا بعيدًا عن السياسة.. موجة استمرت في التشكل ثلاث سنوات من عام ١٩٩٦ إلى عام ١٩٩٩، لا أستطيع أن أجزم أن هناك رابطًا مباشرًا وحقيقيًا بين الأمرين، لكن بلا شك أن ما أحدثه ظهور "الشاب عمرو" في ساحة الدعوة من تأثير يشبه سقوط الحجر في الماء الراكد أثر في خلق دوامات تأثيرية من التدين الشبابي الجديد، وإذا كنا قد تناولنا هاتين الجمعيتين قبل ذلك؛ فلا بد لنا من تناول الموجة التالية الحالية من العمل الخيري الشبابي التي أرى أن لها رافدين:

- الأول وهو الرافد الأقوى: برنامج "صناع الحياة" الذي فتح أعين الكثير من الشباب المتدينين الجدد على التحول من مجرد التدين العبادي الفردي إلى التدين ذي الدور الاجتماعي.

- الثاني وهو الرافد الأقل بريقًا: وهو بيئة عمل الخير الجديدة منها والقديمة، والتي شكلت أرضية وخلفية حافزة وحاضنة أحيانا والتي ألمحنا إليها في تتبعنا لجذور القافلة.

تعددت الأسماء والخير واحد

وباستعراض خمس نماذج من العمل الخيري الشبابي الجديد (وهي الجمعية المصرية للتنمية الإنسانية، وجمعية مشوار، وجمعية

رحمة، ومساعدة.كوم، ونادي يللا شباب)، والتي لا يتجاوز عمرها العام الواحد، يمكن أن نخرج عليها بالملاحظات التالية:

- أنها تتشابه إلى حد كبير في أنشطتها وكأنها نسخ بالكربون.

- وتتشابه في طموحها الكبير على قلة إمكانياتها.

- وتتشابه في جرأتها في الانفتاح السريع على شبكة الإنترنت.

- أن تلك الأعمال تتسم في الغالب بالعفوية وقلة الخبرة.

- كما يعيبها النمطية الشديدة التي لا ترى آفاقا للعمل التطوعي أبعد مما كان يراه الأقدمون من الجمعيات الخيرية التقليدية بفارق وحيد في الفئة العمرية للمجموعة القائمة على العمل.

التدريب.. أحدث صيحة في العمل التطوعي

إلا أن بعض الإضافات النوعية بدأت تطرأ على تلك الموجة متمثلة في بعض الأعمال أو الجمعيات النوعية (مثل جمعية مصر شريان العطاء). ومن تلك الأعمال النوعية الجديدة التي لا يتعدى عمرها بضعة شهور "التدريب"، وأبرز أمثلته هو فريق "برنامج الفعالية الشخصية" الذي يقوم به بعض الشباب من أجيال أكبر من جيل موجة العمل الخيري الجديد، إلا أنهم

ارتأوا أن الشباب الأصغر سنًا في حاجة لمثل ذلك التدريب الذي يضمن لهم تحقيق النجاح سواء في أعمالهم التطوعية الخيرية أو في أعمالهم لكسب العيش، وقد أقام هذا الفريق ٣ حلقات تدريبية بالتعاون مع جمعية مسجد رابعة العدوية، حضر فيها ألف شاب وفتاة، وكان يوم الثلاثاء ١٤ سبتمبر ٢٠٠٤ هو حفل تخرج تلك الدفعات، والآن تنهال عليهم العروض لتكرار هذا البرنامج التدريبي التطوعي في العديد من النوادي والجمعيات. وفي الوقت نفسه بدأت جمعية رسالة تدخل نشاط التدريب كأحد أنشطتها الأساسية، وذلك من خلال مركز رسالة للتدريب، الذي بدأ بالأساس بالتدريب على برامج الكمبيوتر، وكذلك مهارات إعداد السير الذاتية والحضور الناجح للمقابلات؛ مما يساعد الشباب في الالتحاق بالأعمال لكسب العيش بشكل ناجح.

وإذا كان هؤلاء الشباب جميعا قد امتلأت جوانحهم بالحماس للعمل، وترجموا هذا الحماس بالفعل في شكل مؤسسات أهلية خيرية.. فهم بحاجة إلى استيعاب رسالة مفادها أن النهضة أو "صناعة الحياة" التي يرغبون في تحقيقها لا يحدثها العمل الخيري وحده؛ فسفينة الأمة بها ألف ثقب، تحتاج إلى أنماط متعددة من العمل التطوعي لسدها، وهو عمل لا يقل "ثوابًا" بحال عما يقومون به من أعمال خيرية.

جمعية رسالة.. حزمة من الخبرات والدروس

كتبت عنها منذ سنوات في جزء من مقال أنه لما خرجت السياسة من باب الجامعة دخل العمل الخيري مدرجاتها، وأن كلمة السر كانت "١٩٩٩"؛ ففي هذا العام بدأت جمعية "فاتحة خير" في أوساط طلاب الجامعة الأمريكية، وبدأت "رسالة" في أوساط طلاب كلية الهندسة جامعة القاهرة، ومنذ ذلك الحين صارت رسالة نَمُوذجًا، وصار ذلك العام فارقًا في تاريخ العمل الخيري الحديث في مصر؛ فقبله وقبلها كان العمل الخيري هو شغل أصحاب المعاشات، أما بعده وبعدها فقد صار شغل الشباب.

"رسالة".. الحكاية من البداية

الحكاية يرويها الدكتور شريف عبد العظيم أستاذ هندسة الاتصالات بجامعة القاهرة ومؤسس جمعية رسالة؛ إذ يطوف كل جمعة بفرع من فروع "رسالة" يعقد اجتماعا مع المتطوعين الجدد ليحكي لهم الحكاية، وهي الحكاية التي سمعتها من "شريف" مرتين قبل ذلك منذ سنوات، كانت أولاهما في فرع فيصل، والأخرى في فرع المهندسين، أما المرة الثالثة فكانت خلال شهر ديسمبر ٢٠٠٩ في فرع "٦ أكتوبر".

كانت الحكاية مختلفة بعض الشيء هذه المرة؛ إذ بدت فيها خبرة السنوات العشر، فأخرجت لنا على فمه حزمة من الدروس والمعاني؛ وهي الدروس والمعاني التي يجيد عرضها بحديثه الحماسي العقلاني والمتدفق، والذي لا تحس فيه أن الرجل قد مل من تكرار "الحدوتة."

كانت بداية رسالة -كما يقول شريف- "مصادفة"، أو دون ترتيب مسبق منه، فكما يقال "يثاب المرء رغم أنفه".. كان حديث "شريف" الموجه لمجموعة من طلابه في كلية الهندسة حول معنى المسئولية الاجتماعية التي تضيع منا بين الأنانية والسلبية، أو بين "دي بتاعتي" و"وأنا مالي"؛ وهو الحديث الذي استفز بعض طلابه وحمسهم من أجل فعل شيء يعبرون فيه عن إحساسهم بالمسئولية تجاه مجتمعهم، ومن ثم كانت الولادة في شكل أسرة نشاط طلابي يوم ٢٥ يونيو ١٩٩٩، وهي الأسرة التي انطلقت في حملات لتجميل الكلية، والتبرع بالدم، وزيارة دور الأيتام والمسنين وغيرها؛ وهو ما شجع قريبًا لإحدى الطالبات أن يعرض عليهم أخذ قطعة من الأرض خارج أسوار الكلية لبناء مشروع خيري عليها؛ وهو ما كان يقتضي تأسيس جمعية خيرية، وهكذا ولدت رسالة "الجمعية" في شهر ديسمبر ٢٠٠٠.

وسواء أكانت "رسالة" أسرة أم "جمعية" فلم يتوقف تدفق نهر المعاني والدروس التي تعلمها أصحابها منها، وربما كان أول تلك المعاني التي تدفقت كان لدي، في هذا اللقاء الثالث لي بسردية "شريف".. المعنى الهام الذي خرجت به مع اهتمامي الشديد بالتنمية والنهضة ودور العمل الأهلي فيها، ورؤيتي بأن العمل الخيري وحده لن يفعل ذلك، لكنني صرت بعد اللقاء على يقين بأن ذلك العمل الخيري لابد منه كأساس للتنمية والنهضة؛ فقد أقنعتني الدروس والمعاني التي تناثرت كاللؤلؤ وسط كلام "شريف" بأنه دون الناس ودون التنمية عدة معان لابد أن يستشعروها، وعدة خبرات ودروس لابد أن يتعلموها:

دروس الوجدان: وهي الدروس التي يمكننا أن نطلق عليها اسم: "الفعالية الروحية"، وهي الفعالية التي وضعها أستاذنا الدكتور سيد دسوقي شرطًا من شروط البعث الحضاري؛ فالتنمية والنهضة، أو البعث الحضاري لابد أن ينبني على قلوب تعرف معنى "الخير" الخالص لوجه الله، قلوب ذاب من حولها ران الأنانية والسلبية، وهو الران الذي لا يذوب إلا بالحركة المشوبة بالحماس والإخلاص نحو تلبية احتياجات وحل مشكلات الآخرين، والإحساس بهم، ومن ثم الإحساس بقيمة

ما يرفل فيه الإنسان من نعم الله، قلوب تحس بتوفيق الله وفضله في مشوار من مشاوير الخير الذي يمس الآخرين، وأن عطاء الله قد يحقق ما يصبو إليه الإنسان في حياته، أو حتى يكون فوق مستوى أحلامه؛ وهو ما يورث في القلوب معنى اليقين والثقة في الله.

من بين دروس الوجدان الأخرى التي تعلمناها "رحلة رسالة" أنه لا تنمية دون "رأس مال احتماعي" قائم على الثقة والأمل في أنفسنا، وأنه لا تنمية دون تغلغل روح البذل والعطاء في النفوس؛ وهي الروح التي قد نكتشفها في أنفسنا أو في بعضنا البعض، والتي يفجرها العمل الخيري فينا .

دروس العقل: وهي الدروس التي جاءت "عصارة" لخبرة عشر سنوات من الغوص في باطن المجتمع تعاملا مع فئاته المحتاجة للعون، وحلا للمشكلات المختلفة لهم، والتي تقول لنا إننا كي ننمي أي مجتمع فلابد أن نعرفه معرفة جيدة دون "رتوش"، وأن تلك المعرفة لابد أن تشمل فئات المجتمع المختلفة، وأوضاعها، واحتياجاتها الحقيقية لا المتخيلة، وكيفية تقديم العون لسد تلك الاحتياجات، وكيف نحقق لذلك العون القبول والإشباع لدى متلقيه، كما لابد أن تشمل معرفتنا السمات العامة للمجتمع سلبًا وإيجابًا وكيف نتعامل معها ولا نصطدم بها؛ لنصل إلى تحقيق ما نريد.

ولعل أجمل ما سمعت في حديث "شريف" هو تعريفه لمعاني التدين والوطنية والإنسانية؛ وهو ما يجمل دروس العقل والوجدان لديه، وذلك حينما قال: "إن التطوع هو التدين الصحيح، والوطنية الصحيحة، والإنسانية الصحيحة."

ثروة: نعم.. ولكن

ولكن جمال الرحلة وفوائدها الجمة لا تغني عن بعض الملاحظات التي ربما تفيد في تطوير الخبرة إذا أخذ بها :

كان انتشار "رسالة" وتوسعها كبيرًا وسريعًا بمقياس الزمن، لكن لم يواكب هذا الكبر والتوسع زيادة في "مؤسسية" العمل، ولا توثيق كاف لخبراته وتجاربه المختلفة، اللهم إلا فيما يتم جمعه من قصص إنسانية وإحصاءات في النشرة الشهرية.

الثروة الحقيقية التي تمتلكها "رسالة" هي شبابها المتطوع؛ وهي ثروة تحتاج إلى استثمار أكثر من ذلك حتى تنمو فتنمي؛ وذلك يحتاج إلى إدارة لتنمية وتطوير المتطوعين.

إذا كان حلم "رسالة" -كما عبر عنه "شريف"- هو أن يتم تغطية مصر بالخير، بمعنى الانتشار الجغرافي، فإن تطور الخبرة وعمقها يقتضي أن يصاحب هذا التمدد تطور في الاتجاه التنموي يحدث تَغَيُّرًا حقيقيًّا في المجتمع.

طالع موقع جمعية رسالة الخيرية على الإنترنت:
http://resala.org/

"فاتحة خير".. متطوعون من الجامعة الأمريكية

حينما ذهبت لملاقاة هؤلاء الشباب في حفلهم الترفيهي، لم أكن قد وضعت تصورًا عنهم بعد، فلم تكن المعلومات المتاحة لي تكفي لصناعة تلك الصورة الذهنية، فكل ما كنت أعرفه عنهم أنهم من شباب الجامعة الأمريكية بالقاهرة فقط. الشباب -فتية وفتيات- منطلقون يتصرفون على سجيتهم كما يتصرف شباب الجامعة الأمريكية عادة.. لكنهم رغم ذلك شباب مختلف، ملتزمون بالعمل التطوعي في إطار ديمقراطي وشفاف حيث جرى انتخاب مجلس إدارة جديد للجمعية في إطار الحفل، والشباب ملتزم بالتطوع مالًا وجهدًا ووقتًا من أجل تحقيق التنمية في أحد المجتمعات الفقيرة في القاهرة، وبالتحديد في مساكن الهضبة الوسطى بالمقطم أو ما يعرف بمساكن الزلزال، حيث قامت الحكومة المصرية بإيواء بعض المتضررين من زلزال ١٢ أكتوبر ١٩٩٢، حيث بدأت تجربة الجمعية في أبريل من عام ١٩٩٩

قروض متناهية الصغر

العمل الخيري الذي يقوم به شباب "فاتحة خير" يدور حول محور أساسي هو القروض متناهية الصغر التي تعطى للنساء اللائي يَعُلْن أُسرًا حتى يتسنى لهن عمل بعض المشاريع المدرة للدخل، وذلك في إطار "مجموعة" مكونة من خمسة، وهي الفكرة الأساسية في نمط" جرامين"، ويقوم المتطوعون بمساعدة السيدات المقترضات في تصميم مشروعاتهن وتنفيذها ووضع نظام لسداد القروض طبقًا لظروف كل منهن. ويتضمن برنامج القروض نظامًا للادخار، ولا يدفع المقترضون أي شكل من أشكال الفائدة أو المصاريف الإدارية للقروض.. على اعتبار أن العمل كله تطوعي.

وفي البداية يتم دراسة حالة طالبة القرض وأسرتها بشكل دقيق، ومن ثم تسليمها القرض من "صندوق القروض متناهية الصغر"، وبعد حصولها على القرض يتم متابعتها بشكل لصيق أسبوعيًا، وعند سداد أقساط القرض تعود المبالغ المسددة إلى الصندوق لتعطى إلى مستفيدة أخرى وهكذا دواليك، وذلك حتى تتحسن حياة الناس ويحصلوا وأسرهم على تغذية أفضل وتعليم أفضل، ويتمتعوا بصحة أفضل.

الزراعة الحضرية

من بين المشاريع التي قام شباب الجمعية بتنفيذها من خلال الجمعية بالاتفاق مع كلية الزراعة جامعة القاهرة مشروع لتدريب السيدات على زراعة عيش الغراب، وتربية الأرانب وغيرهما من المشروعات الزراعية، ومشروعات الثروة الحيوانية المدرة للدخل، وتشجيعًا لتلك المشروعات تعطي الجمعية للسيدات الراغبات قُروضًا فردية بعد اجتيازهن التدريب.

وتقوم الجمعية حاليًا بإعداد مطبخ للصناعات الغذائية يقوم السيدات بالعمل فيه في شكل مشروع تعاوني، كما تدرس الجمعية مشروعات زراعية أخرى لتطبيقها مثل تربية الحيوانات والزراعة المنزلية، وغيرهما من مبادرات الزراعة الحضرية.

المشغل وتسويق المنتجات

تساعد الجمعية السيدات الراغبات في تعلم الحياكة وأشغال الإبرة، سواء بتمويل التدريب الخارجي لدى إحدى الجمعيات التي توفر ذلك التدريب، أو بتوفير عدد من المتطوعات اللائي يقمن بتدريبهن في مقر الجمعية، وعندما تجتاز المتدربة التدريب، وتصل إلى مستوى معين من الإجادة يتاح لها الحصول على قرض لشراء ماكينة حياكة أو خامات للشغل، أو كليهما، ويتم عرض منتجاتهن بشكل دوري في الاجتماع الشهري

لإحدى الجمعيات بحي مصر الجديدة، وتسعى لإيجاد منافذ بيع أخرى لإنتاج السيدات.

الكساء والطعام

ومن بين المشاريع الأخرى التي تتبناها الجمعية مشروع "الكسوة"، حيث تقوم الجمعية بتجميع الملابس المستعملة وعرضها للبيع في معرض أسبوعي بمقر الجمعية بأسعار رمزية (من جنيه إلى خمسة جنيهات للقطعة) لسكان المنطقة.

ويرى شباب "فاتحة خير" أنه لن يكون هناك جائع ولا محروم في مصر لو أننا تشاركنا في الطعام، وأن مائدة الرحمن التي تمتد في شهر رمضان يجب أن تكون ممتدة طوال العام لكافة الجوعى والمحتاجين في مصر كبارًا وصغارًا، مسلمين ومسيحيين، رجالًا ونساءً، حتى يتوافر لكل فرد محتاج وجبة واحدة مغذية على الأقل يوميا، ويرون أننا نحتاج لاستعادة تراثنا من التكايا التي كان هؤلاء الجوعى يجدون فيها ما يسد رمقهم.

لذا تقوم الجمعية بإعداد ١٠٠٠ وجبة أسبوعيًّا لتوزع على الفقراء من أهالي المنطقة والمناطق المحيطة، وتحتوي الوجبة للفرد على رغيفين، وقطعتي جبن نستو، وقطعة من الحلوى الطحينية، وقطعة من "العسلية" (نوع من الحلويات المصنع من المولاس)،

وقطعة موز، وأخرى من الخيار. وقد بدأ مشروع الوجبات هذا بإعداد ٥٠٠ وجبة كل أسبوعين عام ٢٠٠٠.

وفي شهر رمضان يقوم المتطوعون بإعداد حوالي ٦٠٠ حقيبة تحتوي كل منها على تموين شهر رمضان للأسر الفقيرة التي يقوم المتطوعون بالعثور عليها من خلال البحث الميداني، وتحتوي الحقيبة على الأرز والمكرونة، والزيت والسمن، والبقوليات، والسكر والشاي واللبن وغيرها. وتعطى نفس تلك الحقيبة (حقيبة التموين) شهريا لـــ ٥٠ أسرة من أفقر فقراء المنطقة.

صندوق الطوارئ

وقد بدأ العمل في هذا الصندوق منذ العام الأول لعمل الجمعية وذلك حين تعثرت "أم علي" وهي إحدى السيدات المقترضات في سداد القرض نتيجة لمرض ابنها بأنيميا الخلايا المنجلية واحتياجها للإنفاق الدائم على علاجه، ومن ثم أنشئ الصندوق لمعاونة السيدات في حالات المشكلات العاجلة التي تتهدد حياتهن أو حياة أحد أفراد الأسرة أو التي تهدد نجاحهن في مشاريعهن المدرة للدخل، ويتم تحديد مدى احتياج الحالة بناء على بحث يقوم به الشباب.

وتقوم إستراتيجية الجمعية على عدم اعتماد النساء على الصندوق، ومن ثم يتم تقدير ظروف الحالة في أضيق نطاق، حيث يتم دراسة كل حالة بشكل فردي، وعندما يتم التأكد من احتياج الحالة يتم توفير المساعدة المطلوبة بشكل عيني بدفع الفواتير أو شراء الدواء أو خلافه، ولا يتم إعطاء أي مبالغ مالية للحالة، والمبالغ التي تخرج من هذا الصندوق لصالح أي إنسان محتاج لا تتطلب الرد.

ولأن أغلب حالات الطوارئ حالات صحية؛ فقد اتفقت الجمعية مع عدد من الأطباء في كافة التخصصات بحيث يتم الكشف على الحالات المحتاجة مرة واحدة كل أسبوع، كما يتم جمع الأدوية من المنازل والصيدليات لتوزيعه على المرضى الفقراء المحتاجين للدواء.

"الأم مدرسة إذا أعددتها"...

وحتى يتكامل عمل الجمعية ويكتمل لا بد من التعليم والتوعية، ومن ثم قامت الجمعية بفتح فصول لمحو الأمية يقوم فيها الشباب بالتطوع بتعليم النساء القراءة والكتابة ومبادئ الحساب حتى يكنّ قادرات على إدارة مشاريعهن. ولتشجيعهن على ذلك تم ربط زيادة مبالغ القروض بمقدار ما يحرزن من تقدم في تعليمهن.

وبالإضافة إلى المنهج التقليدي الذي تمنح على أساسه شهادة محو الأمية من هيئة تعليم الكبار، تم إضافة بعض الفقرات على سبيل التجربة وتشتمل قراءة الصحف اليومية والاستماع إلى الموسيقى العالمية، ومناقشة الأمور الجارية، وقراءة بعض الأعمال الأدبية. إضافة إلى ذلك يتم عقد لقاءات للتوعية الصحية بالحديث حول التغذية الصحية السليمة، والنظافة، وشئون المرأة والتوعية القانونية.

كما يقوم الشباب بالتطوع ساعتين أسبوعيًّا لمساعدة أبناء الأسر الفقيرة على فهم واستيعاب المواد الدراسية المختلفة للمرحلة الابتدائية، ومتابعة أحوالهم الدراسية عامة بشكل شخصي، والتعامل مع المشكلات الخاصة التي تعيقهم عن متابعة دروسهم.

ولنفس الغرض يتم جمع الكتب الدراسية التي يتبرع بها من يستغني عنها لتعطى للطلاب المحتاجين، وقد تم إنشاء صندوق تعليمي لمساعدة أبناء الأسر الفقيرة المحتاجين لمواصلة تعليمهم، ويتم ربط الحصول على المساعدة من ذلك الصندوق بتحصيل درجات جيدة في السنوات السابقة، ويتم استخدام أموال الصندوق لدفع المصروفات الدراسية. وقد تم إنشاء مركز في

شقة صغيرة بنفس المنطقة للقيام بذلك النشاط التعليمي لأبناء الفقراء، سمي بـ"مركز المجتمع."

بين "رسالة" و"فاتحة خير"

بين تجربة "رسالة" وتجربة "فاتحة خير" مشابهات ومفارقات، فالتجربتان بدأتا كبذور جنينية لمرحلة جديدة من العمل الخيري والتنموي يكون فيه الشباب المتطوع وليس كبار السن هو الوقود المحرك للتجربة. اختلفت الإستراتيجيتان من البداية فإحداهما — جمعية رسالة – اعتمدت إستراتيجية "العمل الخيري" والذي تتحرك منه إلى التنموي ببطء وتؤدة، أما الأخرى فقد اعتمدت على إستراتيجية "العمل التنموي" من البداية مع هامش من العمل الخيري الموازي. اختلفت التجربتان فيما بينهما في "الروح" السائدة، فبينما كانت روح "التدين" هي السائدة في "رسالة" كدافع وحافز للعمل وليس كصبغة، استبعدت الثانية هذه الروح واستبدلتها بـ"روح" الخدمة العامة والواجب الإنساني العام. تمددت الأولى في المكان والزمان بينما تجمدت الثانية في المكان وتوقفت عند زمان معين، ربما لأسباب تحتاج إلى دراسة.

الباب الثاني

تجارب عالمية

قراءة ماليزية لنجاح التجربة الكوبية

قدم عالم السياسة الماليزي المبرز شاندرا مظفر مؤسس ورئيس "الحركة العالمية من أجل عالم عادل (JUST)" في مقال له نشر على موقع الحركة بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٧ تحت عنوان:"كوبا: قصة نجاح"، قراءة في الجوانب المختلفة لقصة نجاح بلد من البلدان النامية طالما حاصرته السياسة الاستعمارية الأمريكية بكافة أدواتها الإعلامية والاقتصادية والعسكرية والسياسية والأمنية، لكنها أبدًا لم تستطع أن تكسر إرادة أمة في تحقيق التقدم والنجاح.

يحدد مظفر عبر المقال مظاهر هذا النجاح في عدد من العناصر التي تمس جوهر حياة الناس، ولا ينكر ما تواجهه التجربة من مشكلات وتحديات يجب عليها أن تتعامل معها حتى تستكمل عناصر نجاحها وتضمن لها الاستمرارية وسط بيئة مناوئة، مع هذه العناصر نعيش في هذا المقال:

رعاية صحية مجانية.. وجيدة

من المعروف الآن أن كوبا لديها نظام رعاية صحية شاملة من خلال عيادات الجوار، والعيادات متعددة التخصصات، والمستشفيات التي تغطي مساحة ١٠٤,٩٤٤ كم مربعة هي

مساحة الجزيرة. حيث توفر الحكومة الكوبية رعاية صحية مجانية وجيدة لـ ١١,٢٤ مليونًا من سكانها، بما يمثل طبيبًا لكل ١٥٩,٢ شخصًا، وهي من أفضل النسب على مستوى العالم.وتصل نسبة وفيات الأطفال في الجمهورية إلى ٤,٥ لكل ١٠٠٠ في عام ٢٠٠٦، وهي من أقل النسب في العالم، بينما يصل العمر المتوقع للكوبي إلى ٧٧ عامًا.

كما أن هناك على الأقل ٤٠,٠٠٠ طبيب وممرضة وعامل صحي كوبي يخدمون في أماكن أخرى من أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا. كما توفر كوبا تدريبًا صحيًّا لطلاب من القارات الثلاث، وبخاصة من أمريكا اللاتينية. بل إن كوبا تساعد الآن في تأسيس كليات للطب في بلدان أخرى في الكاريبي وأمريكا اللاتينية وكذلك في إفريقيا وآسيا.

وليس هناك دليل على مدى ما تعنيه معاونتها الطبية الإنسانية للبلدان الأخرى أفضل من برنامج "عملية المعجزة". فمن خلال هذا البرنامج استطاع الأطباء الكوبيون استعادة البصر لعشرات الآلاف من شعوب البلدان التي يغلب عليها الفقر في أمريكا اللاتينية والكاريبي، حيث تتمتع مستشفيات العيون في كوبا بواحد من أفضل الطواقم المتخصصة في طب العيون في الجنوب.

وقد صار لكوبا صيت عالمي في البحث الطبي، حيث توصلت إلى عدد من اللقاحات الجديدة وحققت تقدمًا ملحوظًا في دراسة أنواع معينة من السرطان، ويأتي ذلك كنتيجة للقاعدة العلمية الصلبة التي أظهرت كوبا كواحد من اللاعبين الأساسيين في مجال التكنولوجيا الحيوية.

التعليم والاقتصاد.. المساواة أساس

يمكن أن يعزى التقدم في الطب والعلوم في كوبا إلى تلك الشبكة من الروضات ومدارس التعليم الأساسي والثانوي، التي ساهمت في نشوء النظام التعليمي لها، والذي يأتي على قمته العديد من المعاهد الفنية (Polytechnics)والكليات والجامعات. وفي القاعدة تأتي حقيقة أن ٩٨% من الكوبيين متعلمين.

والسؤال الذي يُطرح دائمًا، وبخاصة حول قدرة كوبا على توفير الرعاية الصحية والتعليم المجانيين: كيف يمكن للدولة أن تدعم وتحافظ على تلك البرامج خاصة عندما نعلم أن كوبا ليست بلدًا ثريًّا؟ فالناتج القومي الإجمالي لكوبا عن عام ٢٠٠٦ هو ٤٠,٠٦٥ بليون دولار، مقارنة بماليزيا ١٥١,٧٥ بليون دولار لنفس العام.

وتأتي المصادر الرئيسية لدخلها من السياحة، والخدمات، وتصدير المنتجات الصيدلانية، والمنتجات الغذائية، والسكر، والسيجار، والنيكل. وتوجه عوائد كل ذلك إلى دعم وجود سكان متعلمين وأصحاء وهو الهدف الذي يتقدم كل أهداف التنمية الأخرى. وعندما يكون اقتصاد ما موجها اجتماعيًّا يمكن أن يحرك كل الموارد ويوجهها من أجل رسالته الأولية.

وغني عن القول إن الاقتصاد الكوبي هو اقتصاد تتحكم فيه الدولة والشركات المحلية والتعاونيات والجمعيات في الزراعة والتجارة والصناعة. ويسمح ببعض الاستثمار الخاص في مجالي الغذاء والزراعة. وبسبب هذه الطريقة في تنظيم الاقتصاد بشكل رئيسي أبقى على فروق الدخل في حدودها الدنيا. فالأجر الشهري للطبيب يزيد قليلا من البيزوات (عُملة كوبا) عن ذلك الذي يحصل عليه المزارع عن نفس الفترة. وليست هناك طبقة اقتصادية مميزة في كوبا. إنه مجتمع يسود فيه نظام المساواة.

الانسجام والتماسك روح المجتمع

وكما قضت كوبا على التمايزات الطبقية، فإنها أنهت التفرقة العرقية والعنصرية. فالمجتمع المنقسم على نفسه بعمق قبل ثورة ١٩٥٩ والذي يتمتع فيه البيض بالحظوة والمكانة، هو

الآن واحد من أكثر بلدان العالم المتعددة العرقيات والثقافات انسجامًا في العالم، حيث يحظى السود والمخلطون والبيض ومجموعات الأقليات كالصينيين بالمساواة. حيث تعكس المهن المختلفة التكامل متعدد العرقيات في المجتمع الكوبي. وعلى المستوى الاجتماعي هناك تفاعل يسير وجريء بين المجتمعات الفرعية المختلفة.

المساواة بين الجنسين هي إنجاز عظيم آخر من إنجازات الثورة الكوبية. فلا توجد فقط فرص متساوية للنساء الكوبيات في أماكن العمل، بل إن عدد النساء في الوظائف الحساسة يفوق عدد الرجال. فعلى سبيل المثال فإن ٥٦% من الأطباء نساء، وهن ممثلات بـ٣٦% في الجمعية العامة (البرلمان الكوبي)، وممثلات بشكل جيد في كل مستويات ودوائر اتخاذ القرار العام.

كما بقيت الأسرة كبناء اجتماعي قوي، تدعمها شبكات راعية من الأقارب والجيران والأصدقاء، وهو ما يزود الناس بإحساس دائم بالمجتمع وهو أمر ملموس بشدة حتى في مدينة كهافانا.

ويمثل تماسك الأسرة والمجتمع جزئيًا سببًا في إدماج المعاقين في كوبا بدلًا من تهميشهم كما هو الحادث في كثير من بلدان

الجنوب. و بالطبع فإن القانون والسياسة العامة تقف في صفهم أيضًا.

وتُعَدّ الرياضة من البيسبول إلى الملاكمة، ومن ألعاب القوى إلى سباقات الدراجات ذات شأن بارز في الحياة القومية الكوبية أيضًا.

الاستقلال والسيادة.. سياسة

لن يكون حديثنا حول نجاح الثورة الكوبية مكتملا دون أن ننظر إلى سياستها الخارجية، إذا وضعنا في الاعتبار التهديد الدائم من قبل الولايات المتحدة، فإن الدفاع عن استقلالها وسيادتها صار الهدف الرئيسي للسياسة الخارجية الكوبية.

وقد صار التأكيد على استقلاليتها أكثر إلحاحًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩١، حيث لم يَعُد بمقدور كوبا الاعتماد على الدعم السوفيتي، وصار عليها التعويل على نفسها. وفي نفس الوقت ومنذ بداية الثورة التزمت كوبا بقضايا الفقراء والمقهورين فيما وراء حدودها.

وصار العون الطبي الإنساني للبلدان الأخرى -والذي أشرنا إليه سلفًا- جزءاً من الحَزمة التي تكون ذلك البُعْد في السياسة الخارجية. كما أظهرت كوبا بالتحامها بالنضال من

أجل التحرير في أراضٍ أُخرى، ومن خلال تضحيتها بأبنائها وبناقما أنها خصم عنيد للعنصرية والاستعمار والإمبريالية.

إن مبادرات السياسة الخارجية الكوبية هي مثار فخر للشعب الكوبي تمامًا كإنجازاقما العديدة في الدائرة المحلية، ويمكن للإنسان أن يخرج بانطباع: أن الكوبيين على اختلاف مشاربهم واعون بشدة بما حققوه كأمة.

الإنجاز الكوبي.. لماذا؟

لكن كيف يمكن للإنسان أن يفسر النجاح النسبي لكوبا مقارنة بدول أخرى اختارت في الماضي طريق التحول الاشتراكي؟ هناك ثلاث أسباب يمكن أن تكون معتبرة:

الأول: أن هناك درجة عالية من اندماج ومشاركة الناس في تخطيط وتنفيذ الأمور التي تمس حياقم؛ إذ يسير صنع القرار من خلال العديد من التشكيلات التي تمارس قدرًا مُعتبرًا من الاستقلال في علاقتها بالحكومة أو الحزب الشيوعي الكوبي.

وقد استطاعت الثورة الكوبية بتشجيعها للمشاركة الشعبية، وبالسماح للمجتمعات المحلية بتقرير مصائرها ولو بقدر ما على الأقل أن تجعل من نفسها حركة ذات قاعدة عريضة متمركزة حول الشعب وإن لم يمنع هذا من بعض التجاوزات، ورغم

ذلك فإنها ثورة قللت إلى حد كبير من استخدام العنف ضد الخصوم السياسيين، بينما عظمت من الحوار والاندماج والمشاركة الشعبية.

الثاني: مقارنة بالثورات المماثلة كانت الثورة الكوبية أقل دكتاتورية وتصلبًا في الأمور التي تخص الثقافة والدين، على الرغم من أنه في السنوات الأولى كانت الثورة تنتقد كل من الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية المنظمة، لكنها بدأت مع مرور العقود تعترف بالدور التقدمي الذي يمكن أن يلعبه الدين في التحول الاجتماعي.

الثالث: الأكثر أهمية في نجاح كوبا هو نوعية ومقدرة قيادتها. وبعبارة أكثر تحديدًا، فإن فيدل كاسترو كقائد للثورة ورئيس للدولة يُعَدّ نموذجيًّا. حيث إنه أقل تمركزًا حول الذات، وقد خدم مصالح شعبه لما يقرب من خمس عقود، فعمل على تحقيق طموحاتهم وارتكز على أحلامهم، كما حافظ على هذا الوئام مع شعبه خلال تلك الفترة الطويلة دون الاستسلام إلى إغراء عبادة الذات.

وإذا كان هناك تأثر وإعجاب شديد به بين الجموع، فإن ذلك يأتي أولا بسبب قدرته على حماية اهتماماتهم وتثبيت دعائم كرامتهم، وهو يدافع عن تكاملهم واستقلالهم كبلد

صغير ضد الأطماع الكبرى. كما كان كاسترو شديد الحزم في محاربة الفساد بين الطبقة الحاكمة في كوبا. وهو ما يفسر عدم وقوع كوبا في أسر هذا الوباء الرهيب الذي أصاب مجتمعات كثيرة اشتراكية كانت أو رأسمالية، بالرغم من بقائها تحت نفس القيادة والتي تمتعت بالكثير من القوة والسلطة على مدى خمسة عقود.

وناهيك عن القوانين والسياسات فقد عمل كاسترو على تقييد الفساد بنفسه على نفسه، فهو ليس فقط متشكك في إدارة الأموال العامة، بل إنه يتجنب التبذير والتفاخر. وبسبب ما يقدمه من مثل فإنه نجح في تربية جيلين على الأقل من القيادات التي تكره استغلال المنصب العام لتحقيق المكاسب الخاصة، وبوجه عام فإن الرجال والنساء في الحياة العامة واعون بأهمية الالتصاق بالمعايير الأخلاقية في العمل. ومن ثم فقد عملوا على حماية ونشر قيم أصولية في نجاح أي مجتمع، وهي الأمانة والمحاسبة والشفافية.

مشكلات وتحديات

لا يمكن أن نتجاهل أنه ما زال هناك العديد من المشكلات الكبرى التي تواجه الأمة الكوبية، حيث إن الحكومة لم تستطع بناء مساكن كافية للناس، وما زال النقل العام غير كاف،

وعلى مدى عقدين من الزمان سجلت كوبا حتى الآن نسبة عالية من الطلاق، وبينما يعمر سكان كوبا، فإنها تسجل أقل معدلات للولادة في أمريكا اللاتينية.

هناك تحديات أخرى أكثر خطورة تواجهها كوبا، فكوبا من بين البلدان المعدودة على أصابع اليد ذات الاقتصاد الاشتراكي في عالم تسوده الرأسمالية، خاصة في تخريجاتها الليبرالية الجديدة والتي صارت ذات قوة واختراق ساحقين.

فإلى متى تستطيع كوبا أن تستبقي التأثيرات الرأسمالية خارج حدودها؟ فالسياحة والتي أجبرت الحكومة الكوبية على تشجيعها في عقد التسعينيات بسبب الأزمة الاقتصادية تجلب عبر الأبواب الأمامية للدولة التأثيرات المتنوعة للرأسمالية، فأولئك الذين يعملون بالسياحة يحققون دخولا أعلى من نظرائهم الكوبيين.

ومع الدخول الأعلى تأتي التغيرات في العادات الاستهلاكية وأنماط الحياة والتي تغوي آخرين في قطاعات أخرى من الاقتصاد بالبحث عن الثروة، هناك أيضًا الكوبيون الذين يعيشون في الخارج والذين يرسلون بتحويلاتهم المالية بالدولار واليورو متسببين في الزيادة الكبيرة لدخول أقاربهم في الداخل

فوق المعدلات المعتادة. ومن ثم فقد بدأت بعض التفاوتات في الظهور.

وللتحكم في التأثيرات السلبية لأموال السياحة فقد أصدرت الحكومة عملة منفصلة "البيزو الكوبي القابل للتحويل" وهي العملة القانونية لزوار كوبا، وهي تساوي ٢٥ مثل قيمة البيزو العادي الذي يستخدمه الكوبيون. وعلى الرُغم من أن هذا الإجراء يمكن أن يحمي الاقتصاد إلى حد ما، فإنه يفتح الباب لخطر تشجيع الاتجار بالدولار والعملاتً الأخرى في السوق السوداء.

ولا يأتي التهديد فقط من الدولار والرأسمالية، فهناك الخطر الدائم من الهجوم العسكري الأمريكي، وبينما أكدت الحكومة الأمريكية لكوبا بعد أزمة الصواريخ عام ١٩٦٢ أنها لن تهاجمها. لكن كوبا لا تستطيع الاطمئنان في ظل وجود الرئيس الأمريكي بوش، والذي ضيّق الحصار الاقتصادي بالفعل على كوبا، إلى أنه لن يلجأ للحل العسكري، خاصة عندما يرحل الرئيس الكوبي المريض ذي الثمانين عامًا وهو ما يشغل أذهان الكثيرين من الكوبيين الآن.

لكن ذلك يرتبط بتحد آخر يواجه الشعب الكوبي، هل سيظل المجتمع الكوبي وفيًا لُمثاليات الثورة؟ هل سيظل الكوبيون

يظهرون تلك القيم التي كانت مسئولة عن التحول طوال ٤٨ عامًا، حينما يكون فيدل كاسترو غير موجود؟ خاصة إذا أخذنا في الاعتبار التأثيرات الطاغية للرأسمالية العالمية، وبخاصة ثقافتها القائمة على الاستهلاك والفردية، هل سيظل الكوبيون الشباب قابلين للتضحية من أجل الصالح العام مثل الجيلين الحاليين اللذين جاءا بعد ١٩٥٩؟

الانطباع الذي خرجت به هو أن الكوبيين من ذوي الأعمار التي تقل عن ٢٠ عامًا قد تم تربيتهم بشكل مؤثر على مبادئ التحول الكبير الذي حدث طوال العقود الطويلة الماضية. هناك تقدير كبير بين الشباب لثمار الثورة. تمامًا مثل الكثير من بلدان أمريكا اللاتينية كفنزويلا ونيكاراجوا والإكوادور وبوليفيا والبرازيل وأوروجواي والأرجنتين وشيلي، وإن كان بطرق ودرجات مختلفة، والتي بدأت تواجه الرأسمالية النيو- ليبرالية والسيطرة الأمريكية على قارتهم.

أيًا كان ما يحمل المستقبل لكوبا، فإنها بلا شك تُعَدّ واحدة من أبرز قصص نجاح التحول الاجتماعي في التاريخ. فهناك القليل جدًا من بقاع العالم التي أعطت اهتمامًا لتحقيق العدل والمساواة والتضامن بهذه الطريقة المتماسكة. وما يجعل إنجاز كوبا أكثر تفردًا أنها وبالرغم من الحصار الأمريكي استطاعت أن تمد يد المساعدة للملايين من الفقراء والمحتاجين في العالم. إنها هذه الإنسانية التي لا تُبارى لكوبا، هي التي أعطت لها تلك الكرامة في أعين العالم.

فتح الله جولن.. عندما تصنع القيم تنمية

خلال زيارة أخيرة لتركيا نهايات شهر يونيو ٢٠٠٩ أتيح لي أن أطلع عن كثب على بعض ملامح تجربة مؤسسات فتح الله جولن، والتي لاحظت فيها بشكل أساسي دور القيم التي تكتسب حرارتها من حرارة القلوب، وتكتسب إلزاميتها من التعاضد الاجتماعي لممارسيها في تحقيق مشاريع التنمية، ومن ثم أردت أن أقدم بعض تلك الملامح التي استجليتها علّها تكون نبراسًا لأصحاب مشاريع التنمية والنهضة في الأمة.

دعونا نقول في البداية إن أي مشروع للتنمية أو النهضة لابد له من ثلاث مقومات أساسية:

١.المورد البشري: وهو الأساس في أي تغيير اجتماعي منشود، وهذا المكون البشري لابد لتكوينه من ثلاثة مقومات على الأقل تتمثل في: طاقة روحية، وقيم أخلاقية ملزمة، وعلم مادي.

٢.المورد المالي/المادي: إذ لابد لموارد الأمة أو المجتمع أو الجماعة البشرية التي شحنت بتلك الطاقة الروحية واستصحبت تلك القيم الأخلاقية وتزودت بالعلم اللازم أن تتوافر لديها

موارد مالية تعينها على تفريغ تلك الطاقة وممارسة تلك القيم والأخلاق وتفعيل ذلك العلم.

٣.المورد الفكري: وأعني به أن يكون لدى ذلك المجتمع أو تلك الجماعة البشرية مشروع تنموي ونهضوي يتم التفكير فيه بعمق، وتوضع التدابير اللازمة لاستمراريته ما استمرت حياة البشر.

القيم والمقومات في تجربة جولن

الملامح التي استجليتها من تجربة جولن تسمح لي بأن أقول إنهم حرصوا على تحويل القيم التي يتكلم بها غيرهم كلامًا مُرسلًا في الهواء إلى ممارسات عملية أُلزموا بها أنفسهم دون إلزام من أحد، ووظفوها في خدمة مشروع التنمية والنهضة الذي يتبنونه، أما المقومات فقد تعاملوا معها على النحو التالي:

١.المورد البشري: وهو الأساس لديهم فاعلًا ومَفعولًا، والذي يتم تكوينه بالأساس وفق بناء روحي وأخلاقي وعلمي متين من خلال أنشطة ومؤسسات البناء الروحي والأخلاقي في "الدرسخانات" والمدارس أي من خلال المشروع ذاته الذي يقومون عليه.

٢.المورد المالي: فهم يستخدمون في تحريكه الطاقة الروحية والأخلاقية محولة إلى تكليفات عملية تتمثل فيما يسمونه بـ"الهمة" ويعنون بها الطاقة الروحية حينما تتحول إلى فعل التزامي محدد بمقدار يلزم به الإنسان نفسه أمام الناس، ومن ثم يتحول من خلال الضغط الاجتماعي إلى شبه إلزام، ويشارك في أداء تلك المهمة الصغير والكبير فيما يملك.

٣.المشروع: وقد تمت فيه مراعاة أصول التدبير؛ فهو مشروع لا يختلف على خيريه أو نفعه للمجتمع بل وحتى للإنسانية اثنان، ومن ثم فهو ليس مشروعًا يُنافس أحدًا أو ينازعه مكانة أو زعامة أو مصلحة أو منفعة دنيوية مما يخاف عليه الملوك والرؤساء والزعماء أو تتربص به الأجهزة، وهو مشروع مؤسسات إنتاج، وإعادة إنتاج الإنسان الصالح لأي مجتمع كان مسلمًا أم غير مسلم، من خلال مؤسسات التعليم والإعلام والحوار التي انتشرت في أنحاء تركيا والعالم تصنع سلامًا اجتماعيًا، وعولمة إنسانية جديدة مؤسسة على القيم والأخلاق.

وفي هذا المشروع وظفوا قيمة "الخدمة" ويعنون بها الخدمة في إطار المشروع والتوظف في المشروعات التي يديرونها هنا وهناك، وهو التوظف الذي لا يصير معه الإنسان مجرد

"موظف" يؤدي وظيفة دون روح، بل إنه يخدم الناس من خلالها بروحه وأخلاقه السمحة قبل أي شيء آخر، وفي إطار ذلك المشروع أيضًا وظفوا معنى وقيمة أخرى وهي "الهجرة" بمعناها المعاصر؛ فهم يقدمون مشاريعهم تلك خدمة للإنسانية في أنحاء مختلفة من العالم، وهذا يتطلب من الإنسان أن يذهب إلى بلدان ربما لم يسمع عنها من قبل، مُضحيًّا براحته واستقراره في بلده؛ ليعيش في بيئة وثقافة تختلف عن ثقافته وبيئته؛ رغبة في خدمة الخلق إرضاء للحق.

قطوف دانية

مؤسساتهم وأبناؤها في كل مكان يشار إليهم بالبنان عِلمًا وخَلقًا؛ هذا ما يجعل الناس -القاصي منهم والداني- يشهدون لهم، المسلم وغير المسلم، فلو كان الإسلام والإيمان يؤتي هكذا ثمارًا فمرحبًا به، وإذا كانت القيم حينما تتحول إلى أفعال وممارسات ومؤسسات تبني هكذا صروحًا، ليس فقط صروح المباني والهياكل، ولكن صروح البشر، فإن هذا يعطي لنا أكبر دليل على فعل الإيمان ومنظومة القيم والأخلاق حينما تصب في مشروع للتنمية والنهضة لا يختلف عليه اثنان.

"تاتا"..أيقونة الصناعة الهندية

في يناير من عام ٢٠٠٨ دشن "راتان تاتا" رجل الأعمال الهندي السيارة الشعبية التي تعتبر أول سيارة تنتجها الهند والتي لا يتجاوز سعرها ٢٥٠٠ دولار، وفي عام ١٨٦٨ أي منذ أكثر من ١٣٠ عام كان جامستي تاتا والذي يلقب بـ "أبو الصناعة الهندية" يؤسس ما سوف يعرف لاحقًا باسم "مجموعة تاتا"، وما بين تاتا وتاتا طريق طويل من العمل في مجال الصناعة تتخطى به وعليه الهند "عتبة الخروج" من قائمة البلدان النامية إلى "عتبة الدخول" إلى نادي البلدان الصناعية المتقدمة، فما هي معالم ذلك الطريق الذي سلكته الهند ممثلة في "مجموعة تاتا" حتى وصلت إلى عتبة الانفلات من وصمة "النمو"؟

استقلال الهند رهن بقوة اقتصادها

هذه هي الحكمة التي آمن بها "تاتا" المؤسس، ولد جامستي تاتا في قرية صغيرة جنوب ولاية جوجارات الهندية في مارس من عام ١٨٣٩ كان الأب نوسيروارجي تاتا، هو رجل الأعمال الأول في عائلة من رجال الدين، تخرج جامستي من كلية إلفنستون في بومباي عام ١٨٥٨ والتحق بأبيه في عمله التجاري، وفي عام ١٨٦٩ اشترى معصرة زيوت مُفلسة وحولها إلى محلج للقطن لكنه ما لبث أن باعه، وأسس محلجًا

جديدًا. كان جامستي يعيش حين أعلنت الملكة فيكتوريا الهند جُزءًا من الإمبراطورية البريطانية، ومن رحم الاحتلال نشأ جامستي وطنيًّا يحلم بالاكتفاء الذاتي لبلاده، واستهل مشروعاته لتحقيق ذلك بإنشاء مصانع سواديشي ميلز لدعم وترويج المنسوجات الهندية بدلًا من الأقمشة البريطانية، وظل يحلم بأربعة أشياء يرى فيها رُموزًا لحلم الاستقلال الاقتصادي أولها شركة للحديد والصلب، وثانيها معهد تعليمي على مستوى عالمي، وثالثها إنشاء فندق، و رابعها محطة لتوليد الكهرباء، وعلى الرغم من أنه حقق ثالثها فقط أثناء حياته وذلك بإنشاء فندق تاج محل عام ١٩٠٢ كأول فندق هندي، وعلى الرغم من وفاته عام ١٩٠٤ ولا زال الاحتلال جاثما على أرض الهند، إلا أن أحلامه تحققت في عهود خلفائه، فقد تأسست شركة تاتا للصلب لتصبح أكبر شركة للحديد والصلب في آسيا، وخامسة الشركات العالمية بإنتاج يصل إلى ٢٨ مليون طن من الصلب سنويًّا، كما تأسس معهد تاتا للبحوث الأساسية عام ١٩٤٥ بدعم من جي آر دي تاتا، كما تأسست تاتا للطاقة لتصبح لتصبح أكبر شركة هندية خاصة لإنتاج الطاقة الكهربائية بما يناهز ٢٣٠٠ ميجا وات.

خلفاء تاتا.. المسئولية والريادة والنزاهة

بعد وفاة جامستي تولى ابنه الأكبر دورابجي تاتا أعمال أبيه والتي كانت تتمثل في ٣ محالج للقطن، وفندق، كان دوراجي الذي ولد في أغسطس من عام ١٨٥٩ وتعلم في كل من الهند وبريطانيا وعمل لفترة قصيرة في الصحافة، ثم التحق بأعمال أبيه، ووضع منذ البداية تحقيق أحلامه الأب، وبالفعل نجح في تأسيس شركة تاتا للحديد والصلب عام ١٩٠٧، وثلاث شركات لإنتاج الكهرباء، وواحدة من أكبر شركات التأمين الهندية، كما كان رائدًا في الحركة الأوليمبية الهندية، ثم رئيسًا لها حيث دعم اشتراك الهند عام ١٩٢٤ في أولمبياد باريس، ولدى وفاة زوجته عام ١٩٣١ بسرطان الدم أسس دوراجي وقفية تذكارية باسمها لدراسة وأبحاث أمراض الدم، كما أسس قبيل وفاته عام ١٩٣٢ صندوقا وقفيا آخر لدعم تقدم التعليم والأبحاث والإغاثة في الكوارث وأغراض خيرية أخرى دون تمييز بين المستفيدين على أساس الموطن أو الجنسية أو العقيدة، كما أنه قدم الدعم المالي الأولي لتأسيس المعهد الهندي للعلوم في بانجالور.

بعد وفاة دورابجي تولى ابن عمه جي آر دي تاتا مسئولية شركات أبناء تاتا، كان جي آر دي قد ولد عام ١٩٠٤ لأم فرنسية وأب هو ابن العم المباشر لجامستي تاتا، وتلقى تعليمه الأول في مدارس فرنسا، واستكملها في كل من الهند

وبريطانيا، وكان مُعجبًا برائد الطيران لويس بليريوت، ومن ثم أصبح أول طيار في الهند، كما أسس أول شركة طيران تجارية في الهند "تاتا للطيران" والتي عرفت لاحقًا باسم "طيران الهند"، ومن ثم لقب بأبو الطيران المدني في الهند، وقد تولى جي آر دي مسئولية شركات تاتا وهو في سن الرابعة والثلاثين، وعلى يديه ازداد عدد الشركات من ١٥ إلى ١٠٠ شركة، كما ازدادت قيمة أول الشركات بما يزيد عن ١٦١ مرة، لكن السمة المميزة له فضلا عن نجاحه في مجال الأعمال هو نزاهته، والتي تجلت في رفضه التقرب إلى السياسيين بالرشا، أو العمل في السوق السوداء، الأمر الذي أدى إلى أن تتوج أعماله بعدد من الجوائز التي حصل عليها في كل من فرنسا والهند، قبل أن يتوفى عام ١٩٩٣ في سويسرا.

التطوير الإداري لتخطي العجز

كان راتان تاتا قد تسلم رئاسة مجموعة تاتا عام ١٩٩١ باعتباره أكبر أحفاد جامستي تاتا، وهو الحفيد الذي ولد عام ١٩٣٧، وتعلم ودرس الهندسة المعمارية والمدنية والإدارة في كل من الهند والولايات المتحدة، ثم التحق بمجموعة شركات تاتا عام ١٩٦٢ بناء على طلب من سلفه، وبدأ العمل في مصانع تاتا للصلب، حيث كان يقوم بجميع الأعمال التي كان يقوم بها العمال، ثم ترقى في عدة مناصب إدارية بالشركة بداية

من عام ١٩٧١، وخلال عقدي السبعينات والثمانينات واجهت الشركة عددًا من الصعوبات بسبب الأنماط القديمة لإدارة الشركة، وبسبب بعض السياسات والإجراءات الاقتصادية التي اتخذها بعض الحكومات الهندية، مما اضطر المجموعة للتفريط في بعض شركاتها أو بعض فروع تلك الشركات، تقول "روبين ميريديث" صاحبة كتاب الفيل والتنين الصادر عام ٢٠٠٧، أنه "حينما تولى راتان تاتا زمام الأمور في أثناء الأزمة الاقتصادية العام ١٩٩١ كان الكثير من الشركات المتعددة الأنشطة عاجزة عن المنافسة خارج الهند، بل وعاجزة عن المنافسة ضد الشركات الأجنبية التي تبيع داخل الهند (..) وكانت شركة تاتا للصلب وهي شركة صاحبة مكانة مهيبة واحدة من أصعب الحالات، إذ على الرغم من أنها أحد العمد الأساسية في تاريخ الشركات، فضلًا عن ارتباط اسمها في زهو بحركة استقلال الهند، فإن شركة تاتا للصلب أضحت متخلفة كثيرًا بحلول العام ١٩٩١، وحفز هذا تاتا أن يقول للإدارة إنه سيغلق الشركة ما لم يغيروا الوضع جذريًا، وبعد أن أفاق المديرون من الصدمة، انكبوا على العمل والتفكير واستطاعوا في سنوات قليلة أن يجعلوا من الشركة واحدة من أكثر شركات إنتاج الصلب في العالم قدرة وكفاءة، وتكررت القصة نفسها واحدة بعد أخرى في مجموعة شركات تاتا".

٦٦% للمسئولية الاجتماعية

اليوم بعد مرور أكثر من ١٣٠ عاما من تاريخ مجموعة تاتا، فإن الأرقام تدلنا على أن ٦٦% من قيمة أسهم رأس المال المجموعة مرصود في شكل صناديق ووقفيات من أفراد أسرة تاتا على المشاريع الخيرية والتنموية التي تعمل في مجالات البحث العلمي والاجتماعي والتدريب والخدمات الصحية والتكنولوجيا البيئية، إضافة إلى مركز للفنون، ورغم ذلك فإن حجم استثمارات الشركة يبلغ مئات المليارات بعشرات الشركات التي تعمل في مجالات الاستشارات والصناعات الهندسية، والطاقة، والكيماويات، والخدمات، والسلع الاستهلاكية، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وقد تمددت امبراطورية المجموعة فتمكنت من شراء عدد من كبرى الشركات في العالم في مجالات عملها المختلفة لتمتد أعمالها وأسواق منتجاتها إلى خارج الهند في قارات أفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية والشرق الأوسط، وبهذا الحجم الضخم من الأعمال والأسواق تتخطى الشركة والتي تمثل التاريخ الصناعي للهند وأحد أيقونات التقدم الصناعي والاقتصادي والتكنولوجي في حاضر ومستقبل الهند.

طالع:

- موقع مجموعة تاتا على الإنترنت:
/http://www.tata.com

- عائلة تاتا على الويكيبيديا:
http://en.wikipedia.org/wiki/Tata_family

- روبين ميريديث، الفيل والتنين صعود الهند والصين ودلالة ذلك لنا جميعا، ترجمة شوقي جلال، الكويت المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٣٥٩.

نحل الإبداع الهندي يلسع التخلف

"التنمية حرية"[٦]..حقيقة عبر عنها "أمارتيا صن" العالم الاقتصادي الهندي الحائز على جائزة نوبل، وفي ظل مناخ الحرية ينبت الإبداع الهندي الذي يضع الأساس للتنمية، وهو الأساس الذي يصنع "المجال المشترك" الذي تتعاون فيه مؤسسات العمل الأهلي مع المؤسسات المدعومة من الدولة لتخلق مناخا مواتيا لاستكشاف وتوثيق وتطوير واستثمار الإبداع والابتكار على مستوى جماهير الشعب من مزارعين وحرفيين وغيرهم وذلك من خلال بناء رباعي الأركان ينبني في الأساس على ما يعرف باسم "شبكة نحل العسل" وهي الشبكة التي باتت تثمر عسلا يغذي مشروع النهضة الهندية.

بناء رباعي الأركان

المنظومة الرباعية الهندية تتكون بالأساس من:

١- شبكة نحل العسل: وهي أكبر شبكة شعبية في العالم من للمزارعين والحرفيين المبدعين والمبتكرين، تهدف إلى التعرف على هؤلاء المبدعين في المجتمع، ودعمهم ومكافأتهم، وتشبيكهم

---

[٦]- طالع: التنمية حرية ..مؤسسات حرة وإنسان متحرر من الجهل والمرض والفقر، ترجمة شوقي جلال، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٣، مايو ٢٠٠٤.

وتقديم التسهيلات لحماية ابتكاراتهم، وتعمل الشبكة بالأساس مع أولئك الذين يعملون في مجالات التكنولوجيات الملائمة والمستدامة المبنية على المعارف والخبرات التقليدية، كما تعمل مع أولئك الذين يقدمون ابتكارات خضراء للحفاظ على التنوع الحيوي في مجتمعاتهم المحلية، وتقوم الشبكة بإصدار "نشرة نحل العسل" باعتبارها الأداة الأساسية للتوعية والتواصل وذلك منذ عام ١٩٨٩.

٢- جمعية سريستي: وهي جمعية البحوث والمبادرات من أجل التكنولوجيات والمؤسسات المستدامة، والتي تأسست عام ١٩٩٣ في أحمد أباد بولاية جوجارات الهندية استجابة للحاجة إلى الدعم المؤسسي لأعمال شبكة نحل العسل. وقد تأسست الجمعية لتوفير الدعم التنظيمي والفكري واللوجستي للشبكة، وذلك من خلال التوثيق والنشر والتطوير المنظم للإبداعات الشعبية الخضراء، وتوفير الحماية لحقوق الملكية الفكرية للمبدعين الشعبيين، والعمل من أجل الحفاظ على التنوع الحيوي المحلي، وتوفير الدعم لمشاريع المبدعين الشعبيين، وإدارة قاعدة البيانات الخاصة بهم، إضافة إلى دعم إصدار النشرة الدورية لنحل العسل بثلاث لغات: الإنجليزية والهندية والجوجاراتية.

٣- شبكة تحفيز الإبداعات الشعبية (جيان): وقد تأسست بدعم من حكومة جوجارات عام ١٩٩٧ لتوفير حضانات واستثمار الإبداعات الشعبية والترخيص للتكنولوجيات الشعبية على مستوى الولاية والدولة وكذا على المستوى الدولي، وقد قامت الشبكة بتأسيس استوديو تصميمي للإبداعات الشعبية عرف باسم "جريدز"، ووحدة للمساعدة في الحصول على براءات الاختراع.

٤- المؤسسة الوطنية للابتكار: وقد تأسست عام ٢٠٠٠ بدعم من قسم العلوم التكنولوجيا بالحكومة الهندية بهدف رئيسي هو توفير الدعم المؤسسي لجهود استكشاف وإكثار الابتكارات الشعبية الخضراء والمحافظة عليها وترقيتها والمساعدة في تحويلها إلى أنشطة ذاتية الدعم، وتطمح المؤسسة إلى جعل المجتمع الهندي مُجتمعًا مُبتَكِرًا ومُبدعًا ودفعه ليحوز مكانة القيادة العالمية في مجال التكنولوجيات المستدامة.

فلسفة نحل العسل

يرمز اسم "نحل العسل" الذي تتخذه تلك الشبكة/ الحركة إلى لون من الخطاب العادل والموثوق والمسئول كما يرمز إلى للدعوة الأساسية التي تتبناها الحركة وهي "تعلم الناس من الناس" على أساس من الأخلاقيات التي يتم الالتزام بها في

استخراج المعرفة وتوثيقها ونشرها وتجريدها في شكل نظريات وتقنيات، وهو ما يمثل الاهتمام المركزي لشبكة نحل العسل.

فكما أن الأزهار لا تتضرر حينما يؤخذ رحيقها وحبوب لقاحها عن طريق نحل العسل، فكذلك لا ينبغي أن يتضرر الناس حينما توثق معارفهم من قبل غيرهم، إذ ينبغي الاعتراف بفضلهم والحفاظ على ملكياتهم الفكرية، وكما أن النحل يقوم بوظيفة غاية في الأهمية من خلال التلقيح المتبادل مما يثري التنوع ويحافظ على جريان دورة الطبيعة في مجراها، كذلك لابد من أن يحدث التواصل بين الناس بلغاتهم المحلية وبالطريقة التي يفهمونها حتى تقوى الصلات بين الناس وبعضهم البعض التي يتبادلون المعارف والمنافع من خلالها. وحينما تُثمر المعرفة الموثقة والمنقولة ثروة عبر القنوات التجارية وغير التجارية بعد أن توضع عليها قيمة مضافة أو بدون ذلك، فإن على أصحاب الحق الأصلي في تلك المعرفة أن يحصلوا على نصيبهم العادل من تلك الثروة، وقبل نشر تلك المعارف على النطاق العام فإن على الناس ملاك تلك المعرفة أن يعطوا موافقتهم على ذلك على بصيرة، هذه هي الفلسفة الأساسية لعمل الشبكة/ الحركة، وتتبنى تلك الحركة انطلاقًا من تلك الفلسفة سبع قيم أساسية وهي: الامتياز، والإنصاف، والبيئة، والكفاءة، والأخلاقيات،

والتعاطف والتعليم، وهي القيم التي يرى أصحابها أنها توفر الكيمياء الصحيحة للمجتمعات كي تتغلب على جمودها وتتحرك للأمام نحو مجتمع رءوف ومبدع ومتنافس ومتعاون في آن واحد.

آفاق حركة "نحل العسل"

إذا كانت شبكة نحل العسل هي محور منظومة الإبداع والابتكار الشعبي، فإن جمعية سريستي هي الترس الأكبر المحرك لتلك المنظومة، حيث تقوم الجمعية بعدد من الأنشطة الرئيسية على المستوى القومي الهندي منها:

- الاستكشاف والتوثيق والنشر: يركز هذا النشاط على استكشاف وتوثيق الابتكارات الشعبية والممارسات التقليدية الفريدة من المناطق المختلفة للوطن الهندي، ومشاركة في التعلم من تلك الابتكارات والممارسات مع أوسع نطاق من الجمهور.

- المصادقة والقيمة المضافة: ويهدف هذا النشاط إلى تطوير الصيغ العشبية المستقاة من الممارسات الشعبية إلى منتجات حيوية قابلة للتسويق في أشكال ملائمة للمستخدم وذلك من خلال أنشطة البحوث والتطوير.

– تحليل السياسات والمناصرة: ويهدف إلى إحداث تغيير في السياسات وإدخال بعض السياسات والأنظمة التي تستهدف الترويج للابتكارات والممارسات الشعبية.

– الحملات وبناء الوعي: وتستهدف بناء وعي ورأي عام مناصر للابتكارات الشعبية والممارسات التقليدية والزراعة العضوية.

– بناء مجتمع المعرفة: ويهدف إلى بناء مجتمع حقيقي وتخيلي من المتخصصين والخبراء في مجالات الاختراع والابتكار والمعرفة التقليدية.

– المبادرات التعليمية: ويهدف هذا النشاط إلى استكشاف وتوثيق وتشجيع ودعم الوسائل الابتكارية في تعليم الأطفال حول موضوعات الابتكار وبناء الوعي حول ثراء التنوع الحيوي من حولهم.

– مبادرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: ويهدف إلى تكامل خدمات المعلومات والاتصالات مع بناء شبكات المعرفة التي تربط المبتكرين الشعبيين والممارسين التقليديين عبر حدود الإقليم واللغة والثقافة.

– إدارة الموارد الطبيعية: ويهدف لدعم المبادرات الابتكارية للحفاظ على الطبيعة والتنوع الحيوي، وإعطاء حوافز للأنشطة الزراعية التي تحافظ على التنوع الحيوي وتشجيع ابتكارات المزارعين ومشاركة المجتمع في ذلك.

– على المستوى الدولي: تلعب سريستي دَورًا دوليًّا هامًا في مجالات تشجيع الاستثمار وحقوق الملكية الفكرية، ونشر المعارف الخاصة بالإبداع والمعرفة التقليديَّة، وتشجيع السياسات الملائمة للابتكارات والمعارف المحلية والزراعة العضوية.

أما شبكة نحل العسل فتضم قاعدة بياناتها الآن في الهند وحدها ١٠ آلاف من الابتكارات الشعبية التي أبدعها المزارعون والحرفيون البسطاء في جميع أنحاء الهند، والذين توفر الشبكة فرصة لتواصلهم سويًّا وتواصلهم مع العلماء والأكاديميين وهو التواصل الذي يعبر حدود اللغة والثقافة والإقليم ليغذي ويشجع ويوفر الحوار النقدي البناء حول ابتكاراتهم وتجاربهم، وتوفر الشبكة معلومات حول تلك الابتكارات التي أبدعها الأعضاء الآخرون في الشبكة دون أعباء مادية إضافية، وهو ما يساهم في زيادة إنتاجية المزارعين والحرفيين نتيجة تطوير أعمالهم باستخدامهم لتلك المعلومات. وتصدر الشبكة نشرة فصلية بستة لغات محلية إضافة إلى اللغتين الإنجليزية والإسبانية لتكون أداة للتواصل والحوار وتسلط النشرة الضوء على قصص وأخبار الابتكار والإبداع الشعبي

ودروسًا من الزراعة العضوية والإبداع الشعبي في الحفاظ على التنوع الحيوي، والضغوط التي تتعرض لها الموارد الطبيعية في المناطق المختلفة، كما تحفل النشرة بتفاعلات القراء من تساؤلات وتعليقات وردود المحررين عليهم، وتحظى النشرة بقراء من ٧٥ دولة حول العالم.

هم يبتكرون..ونحن قاعدون

لا شك أن الاختراع والابتكار حينما يصبح بيئة شعبية سوف يصبح قوة جبارة في التنمية والنهضة، وإذا كان أفق الرسالة التي تحملها المؤسسة الوطنية الهندية للابتكار هو أن تكون الهند قائدة العالم في التكنولوجيا المستدامة فإن تلك القيادة يسبقها خلق مجتمع مخترع ومبتكر دون معوقات اجتماعية أو اقتصادية تحول دون تطوره، ولا أعلم لماذا تذكرت حينما طالعت تلك التجربة مقولة التلامذة في المسرحية الكوميدية "مدرسة المشاغبين".."واحنا قاعدين" دليلا على براءتهم من أي فعل قام به الأستاذ الملواني، وهكذا نحن أيضا في عالمنا العربي بريئون من هذا النوع من العمل الأهلي الخلاق وبريئون من أي فعل يقوم به "الهنود" حتى لو كان منظومة للإبداع والابتكار والاختراع الشعبي.

طالع الموقع الجامع لمنظومة الإبداع الهندي:
http://www.sristi.org/cms/

"شيدولاي".. قوارب التنمية البنغالية

"الحاجة أم الاختراع".. هذه هي المقولة التي تنطبق على تجربة جمعية "شيدولاي سوانيرفار سانجيستا" التي تعمل على تحسين حياة المزارعين الفقراء و المُهَمَّشِين من سكان المجتمعات الواقعة على ضفاف الأنهار وتجمعات المياه في بنجلاديش، واتخذت في سبيل ذلك مسالك إبداعية أهلتها لحصد العديد من الجوائز المحلية والدولية.

"استعن بالله ولا تعجز"، هذه هي الرسالة الثانية التي نتلقاها من مطالعتنا لتلك التجربة، فلم تكن ظروف الحياة في منطقتي "شالانبيل" و"راجشاهي" شديدتي الفقر في بنجلاديش حائلًا دون السعي في تحسينها وتحقيق طموحات أهلها في حياة أفضل، فالمنطقة معزولة لا تصل إليها الطرق ولا يمكن الانتقال إليها إلا عبر القوارب، خاصة في وقت الأمطار الموسمية التي تغمر كثيرًا من أراضيها.

والكثير من سكان تلك المناطق لا يمتلك أرضا يرتزقون من خيراتها، حيث يعملون عمالًا أجراء باليومية، وليس لديهم كهرباء ولا مصادر للطاقة الحديثة، ولا خطوط للاتصال التليفوني، وليست لديهم وسائل للإصحاح البيئي، ورغم أن المنطقة تعيش على زراعة الأرز والبقول والقمح والخضراوات

وتربية الدواجن، فإنهم لا يستطيعون ري أراضيهم في مواسم الجفاف، كما يعيشون أيضا على صيد الأسماك، لكن المياه الضحلة وانعدام مصادر الطاقة تقلل من قدرتهم على الصيد الليلي.

أطفال هذا الإقليم مهتمون بالحصول على قدر من التعليم، إلا أنه من الصعب أن تجد مدرسين يقبلون الإقامة في تلك المناطق التي يصعب التنقل فيها، والتي تغمر مدارسها المياه في مواسم المطر، ومن ثم يصعب الحصول على فرص لتعليم الأبناء، خاصة الفتيات، لكن كل تلك الظروف الصعبة لم تقف حائلًا بينهم وبين تحقيق طموحاتهم في تحسين حياتهم وفرص العيش لديهم، فقد استعانوا بعقولهم المبدعة لإيجاد مخرج من مأزق حياتهم البائسة.

حينما يصير التهديد فرصة

في عام ١٩٩٨ أسس "أبو الحسنات محمد رضوان" جمعية صغيرة لخدمة أهالي قرية "شيدولاي"، وفي عام ٢٠٠٢ فكر أنه إذا لم يستطع أطفال القرية أن يذهبوا إلى المدرسة فلتذهب المدرسة إليهم، ومن ثم قام بتأسيس "مدرسة القارب"، وما لبثت الفكرة أن تطورت، وكبرت الجمعية، وصارت تغطي بخدماتها كثيرًا من قرى وتجمعات المنطقة لتُقدم حلولًا عملية للكثير من مشكلاتهم المزمنة، مستخدمة في تقديم تلك الحلول

أسطولًا من القوارب المصممة خصيصًا كي تكون مستوية القيعان تستطيع أن تجوب المياه الضحلة، كما أنها مزودة بخلايا للطاقة الشمسية تمدها بالكهرباء.

ومن خلال تلك القوارب المضاءة بالطاقة الشمسية والمصنوعة من الخامات المحلية قدمت الجمعية الخدمات التالية:

* جعلت من القوارب رياضا تعليمية للأطفال خاصة من الفتيات، يسع الواحد منها ٣٠ تلميذاً، وتحتوي على مكتبة مزودة بـــ ٥٠٠ كتاب.

* تعقد حلقات تدريبية ليلية للمزارعين تقدم من خلالها التدريب على فنون الزراعة المستديمة، تعرض خلالها بعضا من أفلام التدريب والإرشاد الزراعي، وقد أفادت المسوح التي أجريت أن دخول المزارعين قد زادت بنسبة ٤٥٪ من جراء تلك البرامج التدريبية، كما قل استخدامهم للكيماويات الزراعية المخلقة بنسبة ٦٠٪، وزادت كفاءة الأنهار والمجاري المائية نتيجة لزراعة الأشجار والعشب على حوافها، فقللت تلك الأشجار من مستويات الفيضان وغمر المياه لأراضيهم. وتقدم أيضا على القوارب برامج للتدريب على إصلاح وصيانة أنظمة الطاقة الشمسية وطلمبات المياه التي تعمل بالبدال.

* يتاح في كل قارب هاتف محمول يقدم خدماته لسكان التجمعات المحاذية للنهر، كما يتاح بالقوارب من خلال الطاقة الشمسية أجهزة كمبيوتر متصلة بالإنترنت، وأجهزة لتشغيل

"السي دي" و "الدي في دي" التعليمية والترفيهية، كما تقدم برامج للتدريب على استخدام الكمبيوتر.

* تحتوي كل منها على ١٥٠٠ كتاب.

* وزعت الجمعية ١٣ ألفا و٥٠٠ وحدة للطاقة الشمسية المترلية التي تعمل القوارب كمحطات شحن أسبوعية لها، وللمصابيح الشمسية المحمولة التي وفرت الجمعية ٢٥٠٠ مصباح منها، وتستطيع أنظمة الطاقة الشمسية المترلية تشغيل ٢-٣ مصابيح تعمل لمدة ٣٠ ساعة، مما يتيح فرصة لاستذكار الأبناء وعمل الآباء في الحرف اليدوية التي تزيد من دخولهم، كما قلل اعتمادهم على مصابيح الكيروسين وما تسببه من تلوث وارتفاع احتمالات حوادث الحريق، وهو ما زاد من دخول الصيادين بمقدار ٣٠٠ تكا (جنيهان إسترلينيان) شهريًّا في المتوسط، مع انخفاض احتمالات وقوع حوادث الاصطدام بين القوارب.

وتقدم الجمعية كل تلك الخدمات مجانًا، باستثناء خدمة الاتصال بالتليفون المحمول.

للتنمية أبعاد أخرى

لا تكتفي جمعية "شيدولاي" التي تصل خدماتها الآن إلى ٤٠٠ ألف من سكان شمال بنجلاديش بالخدمات التنموية المحمولة عبر القوارب، لكنها تسعى لمد أنشطتها إلى مناطق أخرى من بنجلاديش، حيث إن هناك ما يقرب من ٢٠ مليون

من سكان بنجلاديش يعيشون في مناطق لا يمكن الوصول إليها إلا بالقوارب.

وإضافة لخدمات التنمية بالقوارب تقدم الجمعية طلمبات لرفع المياه عبارة عن دراجات كلاسيكية مطورة تعمل ببدالات لضخ ٦٠ – ١٠٠ لتر ماء في الدقيقة يمكنها أن تروي نصف هكتار من الأرض من مياه الآبار والأنهار، وقد وزعت الجمعية ١٥ ألفا من تلك الطلمبات.

كما تقوم الجمعية بتوزيع قروض متناهية الصغر (١٠ آلاف تكا) للنساء الفقيرات ليقمن بمشروعات مدرة للدخل، خاصة في مجال جمع المخلفات القابلة للتدوير وغيرها من المشاريع، وتقوم الجمعية بتسويق ما يتم جمعه لدى مصانع إعادة التدوير في دكا وغيرها من المدن الكبرى.

والجمعية تتلقى دعمًا من بعض المؤسسات الدولية المانحة (مؤسسة ليفي شتراوس، مؤسسة جيتس، الصندوق العالمي للأطفال، العالمية للإغاثة المباشرة)، كما تستفيد من التسهيلات والتخفيضات التي تقدمها شركة جرامين للتليفون المحمول وشركة "مايكروسوفت"، وشركة "راحيمافروز" المتخصصة في توريد بطاريات الطاقة الشمسية، كما أن الجمعية توفر ٢٥% من ميزانيتها من خلال إدارتها لنشاط جمع المخلفات الصلبة القابلة للتدوير، وقد استفادت من كل ذلك في دعم وتطوير وتوسيع رقعة برنامجها الناجح.

يقوم بالعمل في الجمعية ١٨٠ من العاملين، و٢٠٠٠ من المتطوعين حققوا نجاحًا وانتشارًا للجمعية حتى صار أسلوب عملها نموذجًا يُحتذى من عدد من الجمعيات المحلية (ثلاث جمعيات حتى الآن) وعدد من الجمعيات في بعض بلدان العالم النامي، كما ساعدت الجمعية على تأسيس بعض الجمعيات التخصصية كجمعية حقوق الفتيات والتي تقوم بتقديم برنامج لتعليم الفتيات الصغار عن بعد وتوعيتهن بحقوقهن، كما أنشأت الجمعية مؤسسة أخرى لمستخدمي المياه.

هوامش ومصادر:

١. http://www.ashdenawards.org/winners/shidhulai

٢. دراسة حالة حول تجربة الجمعية: http://www.ashdenawards.org/files/reports/Shidhulai_٢٠٠٧_Technical_report.pdf

٣. موقع جمعية شيدولاي: http://www.shidhulai.org/

جرامين.. معركة مع الفقر عمرها ٣٠ عاما

في صباح الثالث عشر من أكتوبر عام ٢٠٠٦ أعلنت لجنة نوبل منح كل من بنك جرامين ومؤسسه البروفيسور محمد يونس جائزة نوبل للسلام نظير جهودهما في خلق تنمية اقتصادية واجتماعية من أسفل، وكما عبرت اللجنة: "فلا سلام دائم دون أن يجد الناس سبيلًا لكسر طوق الفقر، والقروض المتناهية الصغر هي إحدى تلك السبل، كما أن التنمية من أسفل تؤدي لتحقيق التقدم على طريق الديمقراطية وحقوق الإنسان".. وبتلك الجائزة توج الرجل والبنك كفاح ٣٠ عامًا في سبيل تخفيف حدة الفقر.. وهو الكفاح الذي امتزجت فيه حياة الرجل بحياة البنك، وقد حرص البروفيسور محمد يونس استعدادا لتلك اللحظة على أن يرسم ملامح البنك في اللحظة الحاضرة في عدد من الكتابات التوثيقية الصادرة في أغسطس من هذا العام ٢٠٠٦.

خدمة الفقير حيًّا وميتًا

و إذا أردنا تتبع هذه الملامح، فإن الملمح الأساسي الواضح في سياسة البنك أنه يحاول مساعدة الفقير دون أن يغفل إنسانيته، والغريب أن ذلك يكون في حياته وعند مماته أيضًا.

فالفقراء المقترضون وعددهم ٦,٦١ ملايين مقترض؛ ٩٧% منهم من النساء، يمتلكون ٩٤% من أسهمه، ولا يطلب منهم البنك أي ضمانات إضافية نظير هذه القروض، ولا يطلب توقيع أي حجج قانونية؛ لأنه لا يتمنى أن يساق أيا منهم إلى المحكمة في حالة عدم السداد، ورغم ذلك فقد بلغت نسبة سداد القروض ٩٨,٨٥%؛ حيث بلغ إجمالي القروض التي وزعها البنك منذ إنشائه ٢٩٠,٠٣ بليون تكا (٥,٧٢ بلايين دولار) تم رد ٢٥٨,١٦ بليون تكا منها (٥,٠٧ بلايين دولار.(

كما تم تأسيس برنامج صندوق معاشات للمقترضين، يطلب فيه من المقترض أن يودع مبلغًا بسيطًا شهريًا (٥٠ تكا شهريًّا) على مدى ١٠ سنوات، يحصل بعدها المقترض على ضعف المبلغ الذي أودعه، وقد وصل بنهاية أغسطس ٢٠٠٦ الرصيد المخصص في هذا الصندوق إلى ١٠,٦٨ بلايين تكا (١٧٢,٧٢ مليون دولار.(

ويضع البنك احتمالات وفاة المقترض في حساباته، ولذلك تم إنشاء صندوق تأمين القروض الذي يتولى مسئولية السداد، وتم تكوينه من فوائد صندوق المدخرات التي تم إيداعها من قبل المقترضين لصالح برنامج تأمين القروض، وقد امتد غطاء

الصندوق إلى حالات وفاة الزوج، وبلغ إجمالي الإيداعات في هذا الصندوق ٣,٤٨٦,٣٧ ملايين تكا (٥٠,٠٦ مليون دولار) في نهاية أغسطس ٢٠٠٦، وقد استفاد منه ٤٨,٠٠٤ مقترض أو زوج توفي، تم سداد ٣٤٣,٦٢ مليون تكا (٥,٥٤ ملايين دولار) قروض مستحقة عليهم، ومن ثم فلا تتحمل أُسر المقترض المُتوفى أو زوجه المشترك في الصندوق سداد أية ديون أو أعباء عليه؛ لأنه يتم سدادها من ذلك الصندوق.

هذا بالإضافة إلى برنامج التأمين على حياة المقترض، فكل عام تتسلم أُسر المقترضين المتوفين من ٨-١٠ ملايين تكا من البنك كمستحقات التأمين على حياة المقترض، حيث تتسلم كل أسرة منهم ١٥٠٠ تكا، وقد توفي ٨٦,٧٤١ مقترض حتى الآن، واستفادت أسرهم بمبالغ تأمين إجمالية بلغت ١٦٦,٩٠ مليون تكا (٣,٦٧ ملايين دولار)، ولا يطلب من المقترضين في أثناء حياتهم دفع أية مبالغ للحصول على هذا التأمين، إنما يحصلون عليه بمجرد كونهم من مالكي أسهم البنك.

تربية سياسية واجتماعية أيضًا

ولا تتوقف برامج بنك جرامين عند هذا المدى؛ بل تلعب دورًا في التربية السياسية والاجتماعية للمقترضين، فنظام البنك

نفسه يربي المقترضين سياسيًا ويجعلهم يألفون النظام الانتخابي؛ فهم ينتخبون رؤساء المجموعات والمراكز وسكرتيريها كل عام، وينتخبون أعضاء مجلس إدارة البنك كل ثلاث سنوات، وقد جعلهم ذلك أكثر قدرة على التعامل مع الشأن العام، ومن ثم يرشحون وينتخبون كأعضاء في المجالس المحلية؛ ففي عام ٢٠٠٣ شارك ٧,٤٤٢ من الأعضاء كمرشحين تم انتخاب ٣,٠٥٩ منهم كأعضاء في المجالس المحلية بنسبة تصل إلى ٢٤% من إجمالي الأعضاء الذين يشغلون المقاعد المخصصة للنساء (كان العدد في انتخابات ١٩٩٧ قد وصل إلى ١,٧٥٣ عضو.)

أما عن التربية الاجتماعية فيقوم بها البنك من خلال توفير منح دراسية لأكثر أبناء المقترضين تفوقا مع إعطاء أولوية للبنات؛ لتشجيعهم على الاستمرار في دراستهم، وبلغ إجمالي ما أنفق على تلك المنح حتى أغسطس ٢٠٠٦ مبلغ ٣٩٠ ألف دولار، استفاد منها ٣١,١٦٤ طفلا.

كما يمنح الطلاب الذين اجتازوا المرحلة الثالثة من التعليم قُروضًا لاستكمال تعليمهم الجامعي بحيث تغطي المصروفات الدراسية والإعاشة والمصروفات الأخرى، وقد استفاد منها ١١,١٢٨ طالبًا حتى أغسطس ٢٠٠٦.

تجربة رائدة مع المتسولين

وللبنك دور هام في علاج القضايا التي تهم المجتمع، ويظهر ذلك في البرنامج الذي أعده لمكافحة ظاهرة التسول والمسمى ببرنامج الأعضاء المكافحين، والذي التحق به ٨١ ألف متسول، حصلوا على قروض من البنك بلغت ٦٨,٤٤ مليون تكا، سدد منها حتى الآن ٤١,٢٢ مليون تكا، ومن أهم خصائص هذا البرنامج أن قروضه معفاة من الفوائد، وعلى مدد طويلة حتى تقل أقساط السداد، والمقترضون منهم يتم تغطيتهم بنظام لتأمين الحياة وتأمين القروض دون أن يتحملوا أي مصاريف إضافية، ويُعطى كل فرد منهم بطاقة هوية من جرامين تجعل كل إنسان يعرف أنهم أعضاء في البنك، وأنه يقف من ورائهم، ولا يطلب من الأعضاء التوقف عن التسول، بل إنه هو الذي سيتخذ القرار عندما يساعده القرض على إنشاء مشروع صغير يدر عليه دخلا يساعده على أن يعيش حياة كريمة، ويعلم أولاده، ويصير شيئًا فشيئًا عُضوًا مُنتظمًا في بنك جرامين.

جرامين عنوانا للنجاح

ومع كل هذه البرامج فقد استطاع بنك جرامين تحقيق عدة إنجازات حتى صار اسمه عنوانا للنجاح ومنها تحقيقه لأرباح منذ تأسيسه، باستثناء أعوام: ١٩٨٣، ١٩٩١، ١٩٩٢، وبلغ

إجمالي أرباح البنك خلال عام ٢٠٠٥ حوالي ٧,٣٩ بلايين تكا (١١٢,٤٠ مليون دولار)، وإجمالي الإنفاقات ٦,٣٩ بلايين تكا (٩٧,١٧ مليون دولار)، وبلغ صافي الأرباح ألف مليون تكا (١٥,٢١ مليون دولار)، وذلك رغم أن فوائد بنك جرامين هي الأدنى في بنجلاديش؛ حيث تصل إلى ١٠% على قروض المشروعات المدرة للدخل (١٠٠ تكا على قرض يصل ١٠٠٠ تكا طوال العام)، و٨% على قروض الإسكان، و٥% على قروض الطلاب، و٠% على قروض الأعضاء المكافحين (المتسولين سابقا).

وكان من نتيجة برامج البنك أن أظهرت أحدث المسوح الداخلية أن ٥٨% من أسر مقترضي البنك قد نجحت في تخطي خط الفقر، بينما تتحسن أحوال النسبة الباقية بشكل مضطرد، وهي في سبيلها إلى تجاوز ذلك الخط.

كما نجح البنك في وضع سياسات جديدة لم يسبق تطبيقها في العمل المصرفي؛ كسياسته في تقييم فروعه وموظفيه

بإعطاء رموز ملونة للفروع والموظفين المتميزين في أعمال محددة وفقا لمقياس رقمي للإنجاز من ١٠٠ درجة، وقد حصل ١٢٤٦ فرعًا على النجمة الخضراء لتحقيقه ١٠٠% في نسبة سداد القروض، وحصل ١٤٣١ آخرون على النجمة الزرقاء

لتحقيقهم أعلى أرباح، بينما حصل ١١٧٩ فرعًا على النجمة البنفسجية لقدرتها على توفير كل تمويلها من دخلها وإيداعاتها الخاصة، وتقدم ٣٠٨ فروع بطلب الحصول على النجمة البنية لتمكنهم من تعليم ١٠٠% من أبناء أسر المقترضين من البنك، وتقدم ٤٥ آخرون بطلب الحصول على النجمة الحمراء؛ لأن كل أعضائه قد جاوزوا خط الفقر، وسوف يتم منحهم تلك النجوم بعد الفحص والتأكد من إنجازهم.

وأقر البنك سياسة رائدة لفتح الفروع الجديدة تقوم على أن يمول الفرع نفسه من الإيداعات التي يحصل عليها، ولا يحصل الفرع على أي تمويل من المكتب الرئيسي أو من أي فرع آخر، وينتظر من كل فرع جديد أن يحقق التدفق المالي خلال عام من تشغيله.

تجربة اجتماعية في ثوب اقتصادي

هذه هي الملامح العامة لجرامين الحاضر، تجربة تنظر للإنسان الفقير كإنسان كامل الأهلية، يستطيع أن يكافح ليخرج من دائرة الفقر بكده وعرقه، وتتعامل معه بإنسانية وتسعى لتنميته وتحسين إمكاناته وقدراته ونوعية حياته سعيا لإخراجه من دائرة الفقر من خلال مسيرة كفاح طويلة يشارك فيها برأيه وجهده، بل وماله.

وهي تجربة تعود منافعها ليس فقط على أعضائها بل على مجمل الاقتصاد والمجتمع البنغالي، كما هي في نفس الوقت "مدرسة" تتعلم منها الإنسانية، لذلك استحقت النجاح الذي منحها ٧ جوائز محلية وعالمية سابقة، ومنح صاحبها ٦٠ جائزة محلية وعالمية، إضافة إلى ٢٧ دكتوراة فخرية، و١٥ تكريما خاصا من بلدان العالم المختلفة قبل أن يتوج ذلك بجائزة نوبل.

طالع موقع بنك جرامين:

http://www.grameen-info.org/

ابتكار محمد يونس الجديد

البيزنس الاجتماعي..المفهوم والمدرسة والنماذج

إذا كان البروفيسور محمد يونس قد عكف ٣٠ عامًا يبني منظومته العالمية في الإقراض المتناهي الصغر كأحد الوسائل العملية المبتكرة لمكافحة الفقر، إلا أن عطاءه الفكري والعملي لم يتوقف عند حدودها، فقد عاد في العام الثلاثين من تجربته ليقدم لنا مفهومًا ونموذجًا عمليًا جديدًا باسم "البيزنس الاجتماعي Social Business"، من خلال منظومة متكاملة من العمل تتكون من مفهوم نظري ومدرسة عملية ونماذج تطبيقية.

البيزنس الاجتماعي..المفهوم

المكون الأول من منظومة البيزنس الاجتماعي، جاء في كتابه "بناء بيزنس اجتماعي: الصنف الجديد من الرأسمالية الذي يخدم الاحتياجات الأكثر إلحاحًا للإنسانية" والذي نشر عام ٢٠٠٨، والكتاب مُكَرَّس للحديث حول المفهوم وتطبيقه وصيانته، يقدم فيه ذلك المفهوم الجديد والذي يعتبر نموذج إبداعي جديد للبيزنس، يروج لفكرة تصميم بيزنس يعالج

المشكلات الاجتماعية وليس بيزنس يستهدف تعظيم الربح، إنه مفهوم جديد للرأسمالية يعالج أكثر مشكلات الإنسانية إلحاحًا خاصة الفقر، إنه بيزنس يخلق وظائف وظروف عمل طيبة ويعالج بشكل خاص العلل والأدواء الاجتماعية مثل قلة التعليم والرعاية الصحية والتغذية السليمة.

ولكن ماذا تقول موسوعة "الويكيبيديا" عن هذا المفهوم؟ تقول الموسوعة أن هناك معنيين لمصطلح "البيزنس الاجتماعي:"

- الأول هو لشركة تتأسس على مبدأ لا خسارة ولا توزيع للأرباح، مصممة لتحقيق هدف اجتماعي، أرباحها تستخدم لتوسيع مساحة وصول الشركة لعملائها ولتحسين المنتج أو الخدمة، وهو المعنى الذي نما من خلال أعمال البروفيسور محمد يونس وآخرون (وهو المعنى الذي نتناوله هنا).

- الثاني وهو لمنظمة مصممة بوعي حول السلوك الاجتماعي والأدوات الاجتماعية، كاستجابة لعالم متغير وظهور الشبكة الاجتماعية Social web ، وهو المعنى الذي نشأ مع نشوء الفضاء التكنولوجي لويب تو ٢,٠ web والتي تتأسس في شكل الأدوات و"الميديا" والشبكات الاجتماعية.

البيزنس الاجتماعي الذي نعنيه هنا هو — بالمعنى الأول – بيزنس مقاصدي (يتمحور حول مقصد اجتماعي)، حيث يمكن للمستثمرين أو الملاك أن يستعيدوا المال المستثمر تدريجيًّا لكنهم لا يمكنهم أن يتعدوا ذلك قيد أنملة إلى تقسيم للأرباح. ويهدف الاستثمار بشكل حصري لتحقيق واحد أو أكثر من الأهداف الاجتماعية من خلال عمل الشركة، حيث لا يهدف المستثمرون لتحصيل أي منفعة شخصية. ينبغي على الشركة أن تغطي جميع تكاليفها وأن تحقق فائضا، في نفس الوقت الذي تحقق فيه الهدف الاجتماعي، سواء أكان رعاية صحية أو إسكان أو خدمات مالية للفقراء، أو تغذية للأطفال الذين يعانون من سوء التغذية، أو توفير مياه الشرب للمحرومين منها، أو تزويد المحتاجين للطاقة المتجددة وعليها أن تحقق تلك الأهداف الاجتماعية بطريقة إدارة اقتصادية. ويقاس نجاح البيزنس الاجتماعي بتأثيره على الناس وعلى البيئة بدلا من مقدار الربح المحقق في فترة ما.

خصائص البيزنس الاجتماعي

يتسم البيزنس الاجتماعي إذا بأنه:

- مصمم ويتم تشغيله كي يعطي المستهلكين كل المزايا .
- يتم تشغيله دون الوقوع في خسائر .

- يتم تشغيله للمنافسة مع استثمارات الربح المتعاظم .

- أن الربح يجب أن يكون مُتسقًا و مُرَغّبًا فيه من أجل :

- إنتاج فائض يسمح برد رأسمال المستثمر في أقرب وقت ممكن .

- لإنتاج فائض يساعد على التوسع وتحسين الجودة وزيادة الفاعلية عن طريق إدخال تكنولوجيا جديدة ويساعد على التسويق الابتكاري للوصول إلى أكثر طبقات منخفضي الدخل عُمقًا وأكثر المجتمعات حرمانًا، وللقيام بالبحوث والتجريب اللازمين لتحسين وتنويع المنتجات والخدمات .

المبادئ السبعة للبيزنس الاجتماعي

وقد حدد البروفيسور يونس سبعة مبادئ للبيزنس الاجتماعي (وذلك في اجتماع المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس – يناير ٢٠٠٩):

- أن يكون هدف البيزنس هو التغلب على الفقر أو مشكلة أو أكثر تتهدد الناس والمجتمع (كالتعليم، أو الصحة، أو الوصول للتكنولوجيا، أو البيئة) لا أن يهدف إلى تعظيم للربح .

- أن تتوافر له الاستدامة المالية والاقتصادية

- أن يحصل المستثمرون على الأموال المستثمرة فقط، دون الحصول على أية أموال تزيد عن ذلك .

- بعد سداد مبالغ الاستثمار، فإن أية عوائد إضافية للمشروع ترد إليه للتوسع والتطوير .

- أن يحقق الحفاظ على البيئة

- أن يحصل العاملون على أجور توازي سعر السوق مع ظروف عمل أفضل .

- أن يترافق العمل في المشروع مع الشعور بالحبور (أي بنفس طيبة)

البيزنس الاجتماعي..المدرسة العالمية

المكون الثاني من المنظومة التي قدمها يونس هي "المدرسة العالمية" أو "معمل جرامين الابتكاري Grameen Creative Lab" والتي تأسست في يناير من عام ٢٠٠٩ بالشراكة بين مؤسسة "مركز يونس Yunus Center" ومؤسسة سيرك الألمانية CIRC Foundation ومؤسسها هانز رايتس والذي أصبح مديرا للمؤسسة الوليدة والتي يقع مقرها في ألمانيا.

تهدف المؤسسة — المدرسة – للقضاء على الفقر في العالم من خلال تشجيع "البيزنس الاجتماعي" عبر ثلاث أسس من العمل:

– التفاعل "التوعية": وذلك عبر تنظيم وتقديم الاستشارات لتنظيم فعاليات للتوعية العامة، وعبر نشر الكتب والمقالات حول البيزنس الاجتماعي، وعبر الحديث في المؤتمرات لبناء حالة من الحوار العام حول المفهوم، وأخيرا بيناء شبكات للتواصل مع مجتمع الاهتمام.

– الاحتضان "الفهم": بتنظيم ورش للعصف الذهني حول أفكار البيزنس الاجتماعي، التجريب من خلال مشاريع البيزنس الاجتماعي الخاصة بالمؤسسة، تشجيع ودعم البحوث الأكاديمية بالتعاون مع الجامعات الشريكة.

– البناء "التأثير": بتقديم الاستشارات للشركات حول كيفية تأسيس مشروعات مشتركة للبيزنس الاجتماعي عبر العالم، ودعم المستثمرين والقطاع العام لبناء صناديق تدار كـ"بيزنس اجتماعي"، وأخيرًا عبر بناء منهجية لمنح الشهادات في مجال البيزنس الاجتماعي.

رؤية ٢٠١٥:

تنبني تلك الرؤية على مجموعة من المفاهيم والاعتقادات الأساسية أولها يلخصه قول البروفيسور يونس: أعتقد أننا نستطيع أن نبني عالمًا بلا فقر لأن الفقر واقع لم يخلقه الفقراء

لأنفسهم"، حيث أن الفرق بين الفقير والغني ليس في الثروة وإنما في الفرصة، فالفقراء هم أعظم الرواد في العالم، ألا ترى أنهم يبدعون كل يوم كي يستطيعوا البقاء على قيد الحياة، هم يبقون فقراء فقط لأنهم لا يمتلكون الفرص لتحويل إبداعيتهم تلك إلى دخل مستدام، ومن ثم يعتقد القائمون على معمل "جرامين" الإبداعي أن النظام الاقتصادي الذي نعيش فيه لا يخلق فرصًا كافية للفقراء، لأنه نظام يفتقر إلى الرؤية.

ومن ثم فإن رؤية المؤسسة هي بناء نمط من البيزنس لا يستهدف فقط المصلحة الشخصية وإنما فائدة المجموع، الصحة والسعادة والأمان للجميع خاصة أولئك الأقل حظًا، إنه ذلك النمط من البيزنس الذي نسميه البيزنس الاجتماعي، ومن ثم جاءت الأهداف الطموحة في:

- بناء وعي عام واسع بالبيزنس الاجتماعي
- جعل جرامين ماركة عالمية
- بناء حركة عالمية للبيزنس الاجتماعي
- جعل البيزنس الاجتماعي كتيار جامعي عام
- التمكين من الوصول للمعرفة الشركاتية corporate knowledge
- التمكين من الوصول لتمويل البيزنس الاجتماعي
- التأكد من ضمان ومراجعة جودة البيزنس الاجتماعي

البيزنس الاجتماعي..النماذج

النموذج الأول..جرامين دانون

تأسست جرامين دانون كأول تجربة تطبيقية لفكرة "البيزنس الاجتماعي" عام ٢٠٠٦ (أي أن التجربة العملية قبل البناء النظري والمدرسة العالمية)، من أجل تزويد الأطفال الفقراء في بنجلاديش باحتياجاتهم من العناصر الغذائية الأساسية، وهي العناصر الغائبة في الأغلب الأعم من غذاء أطفال الريف البنغالي الفقير، جاء تأسيس الشركة نتاجًا لزيارة قام بها يونس إلى فرنسا عام ٢٠٠٥ بدعوة من فرانك ريبو الرئيس التنفيذي لمجموعة دانون، واقترح فيها يونس أن يتم تأسيس مشروع مشترك بين جرامين ودانون بهدف تقديم طعام مغذي لأطفال بنجلاديش، ومن ثم تم تأسيس شركة جرامين دانون للأغذية بهدف تقديم غذاء صحي يومي لسكان بنجلاديش الفقراء منخفضي الدخل المحرومين غذائيًّا ويساهم في تخفيف حدة الفقر من خلال نموذج إنتاج مجتمعي فريد، لا تخصص فيه أية أرباح للشركاء في الاستثمار، وقد شارك في الاستثمار من الجانب البنغالي أربع من مجموعة شركات جرامين، ومن الجانب الفرنسي مجموعة دانون.

بدأ إنتاج المشروع بنوع خاص من الزبادي اسمه شاكتي دوي وتعني زبادي الطاقة وهو مصنع من حليب كامل الدسم، يحتوي على بروتين وفيتامينات وحديد وكالسيوم وزنك وعناصر غذائية أخرى لتلبية الاحتياجات الغذائية لأطفال بنجلاديش وتحسين صحتهم، وعلى الرغم من أن الأطفال هم المستهدف الرئيسي من المنتج، إلا أن البالغين يمكنهم تناوله، تبلغ قيمة العبوة الـ ٨٠ جرام ٦ تكا فقط (أي ٠,٠٦ يورو) وهو سعر مناسب لفقراء بنجلاديش.

يقوم المشروع بمكافحة الفقر من خلال خلقه فرص بيزنس وتوظيف للفقراء، حيث أن المواد الأولية للإنتاج شاملة الألبان سيتم توريدها محليًا من صغار المربين من فئة أفقر الفقراء، كما أن نساء جرامين الفقيرات هم من سيقوم بتوزيع الزبادي من بيت لبيت مع الحصول على نسبة ١٠٪ من قيمة المبيعات وقد ساعدت جرامين دانون بذلك على خلق ١٦٠٠ فرصة عمل تغطي مساحة ٣٠ كليو متر حول المصنع، وقد بدأ العمل في الشركة بتأسيس مصنع في بوجرا (٣٥٠ كم إلى الشمال من العاصمة دكا) على مساحة ٧ آلاف متر مربع بطاقة إنتاج يومية تبلغ ٣ آلاف كيلو جرام (تصل إلى ١٠ آلاف كيلو في ٢٠٠٨)، ومن المخطط أن يتم بناء ٥٠ مصنع صغير خلال

السنوات العشر القادمة، وقد اتفقت الشركات المشاركة في الاستثمار على عدم الحصول على أرباح من المشروع، وعلى رد عائد المبيعات كاستثمارات جديدة في المشروع لخلق فرص إضافية، إضافة إلى ما سبق فإن عمليات الإنتاج في المصنع تتم باستخدام الطاقة الشمسية، بينما يتم تعبئة الزبادي في عبوات صديقة للبيئة.

النموذج الثاني: جرامين فيوليا المحدودة للمياه:

تتوافر في بنجلاديش مصادر كثيرة للمياه العذبة تتمثل بشكل أساسي في المياه الجوفية غير العميقة والتي يسهل استغلالها، لكن تلك المياه ولأسباب جيولوجية بحتة ملوثة بالزرنيخ بتركيزات خلقت مشكلة صحية شائعة، حيث بدأت المستشفيات في بنجلاديش منذ بداية التسعينيات في الإشارة في تقاريرها إلى الزيادة الكبيرة في حالات التسمم بالزرنيخ والتي تصيب اليوم ٣٠ مليون بنغالي وتسببت في وفاة العديد منهم. ومن ثم توافقت إرادات كل من بنك جرامين وشركة فيوليا للمياه على أن يتشاركا خبراتهما لتأسيس شركة جرامين فيوليا المحدودة للمياه عام ٢٠٠٨ من أجل جعل المياه النظيفة والآمنة متاحة لسكان القرى في المناطق الفقيرة من بنجلاديش، على أساس أن أجرة استهلاك المياه المناسبة لدخول الفقراء والتي ستجمع من المشروع سوف تساعد في توسعة تغطية المشروع، كما أنه سوف يتم تصنيع وحدات تنقية المياه محليا من خلال

مبدأ نقل سر الصنعة من شركة فيوليا للمياه، وسوف يساعد بنك جرامين من خلال شبكته الاجتماعية الواسعة في جمع أجرة استخدام المياه النقية من الفقراء بطرق مناسبة، وسوف يساعد المشروع على خلق ١٠ وظائف في كل قرية من القرى التي يتم فيها تشغيل المشروع، وقد وقع الاختيار على قرية جولماري التي تقع على بعد ١٠٠ كلم من العاصمة دكا لبدء المشروع، يقطن القرية ٢٠-٢٥ ألف نسمة، سوف تتوافر لهم المياه النقية المتوافقة مع مواصفات منظمة الصحة العالمية لأغراض الشرب والطهي. تبلغ استثمارات المشروع ٥٠٠ ألف يورو تهدف للبدء ببناء وحدات تنقية للمياه في خمس من أفقر قرى وسط وجنوب بنجلاديش يقطنها حوالي ١٠٠ ألف نسمة.

النموذج الثالث: باسف جرامين

حيث تعاني بنجلاديش من الكثير من المشاكل الصحية مثل سوء تغذية الأطفال والأمهات، والملاريا وغيرها، ومن ثم فقد تأسست شركة باسف جرامين BASF Grameen بالشراكة بين شركة باسف (شركة ألمانية من أكبر الشركات الكيميائية في العالم) وبين وقفية جرامين للرعاية الصحية والشركة هي بيزنس اجتماعي يستهدف تحسين صحة سكان بنجلاديش من خلال تحسين مستوى التغذية، ومن خلال الحماية من الأمراض الناتجة عن الحشرات، وذلك من خلال إنتاج ناموسيات طويلة العمر للحماية من لدغ البعوض،

وأكياس للمغذيات الدقيقة المتعددة، وسوف يستفاد من شبكة فقراء جرامين في توزيع المنتجات في الريف، كما سيتم توزيعها عبر المدارس والصيدليات ومحلات البقالة في الحضر كمنتجات عامة.

من جرامين إلى البيزنس الاجتماعي

لعله من المفيد في نهاية هذه الإطلالة أن نشير إلى عدة أمور:

- أن بنك جرامين (أو بنك الفقراء) نفسه هو من أهم أمثلة البيزنس الاجتماعي ولذا فإن موقع "معمل جرامين الابتكاري" يعتبره "أم البيزنس الاجتماعي".

- أن مجموعة شركات جرامين والتي تجاوزت العشرين شركة في كافة مجالات الحياة من المزارع السمكيَّة للغزل والنسيج للاتصالات للتعليم للطاقة لغيرها، كلها نماذج أخرى للبيزنس الاجتماعي صاحبت ورافقت تجربة جرامين.

- أن يونس ربما لم يبلور فكرة ويصك مصطلح البيزنس الاجتماعي ويقعد له قواعد وأسس إلا مُؤخرًا، لكنه كان يمارسه — أو شيئًا قريبًا منه - بالفعل منذ تأسيسه بنك جرامين وشركاته

- أن هذا الصنف من العمل الاقتصادي الذي يستهدف تحقيق مصالح اجتماعية للفقراء والمحرومين يحتمل طيفًا واسعًا من الابتكار في الحجم ومجالات العمل والشكل القانوني والإداري، مع ضرورة الحفاظ فقط على المبادئ السبع للبيزنس

الاجتماعي كما وضعها مؤسسها حفاظًا على روحه والهدف منه.

- أن هذا الصنف من أشكال مساعدة الفقراء وسائر الفئات المستهدفة بالزكاة والصدقات يمكن أن يكون شكلًا ابتكاريًّا جديدًا لإنفاق الزكاة أو إيقاف الوقفيات على تلك الفئات بشكل عملي مستدام يحدث تنمية في المجتمع بالقدر الذي يحل فيه مشكلات اجتماعية لفئات محرومة.

مصادر:

- موقع "معمل جرامين الابتكاري":

/http://www.grameencreativelab.com

- صفحة الويكيبيديا حول البيزنس الاجتماعي:

http://en.wikipedia.org/wiki/Social_business

- صفحة جرامين دانون على الويكيبيديا:

- http://en.wikipedia.org/wiki/Grameen_Danone

باتاك وسولابه..أربعون عامًا من نصرة المنبوذين

إذا كان البروفيسور محمد يونس هو قديس الفقراء، فإن الدكتور بندشوار باتاك هو نصير المنبوذين، وإذا كان الأول عالم اقتصاد هجر مدرجات الجامعة ليكرس حياته لتمكين الفقراء في بنجلاديش فإن الدكتور باتاك هو عالم اجتماع، هجر البحث العلمي التقليدي ليكرس حياته لتمكين المنبوذين في الهند، أي أن كلاهما يأتي من شبه القارة الهندية التي على الرغم من الفقر والتمييز الاجتماعي الطبقي وتقلب الأوضاع السياسية التي تعيشه بلداها إلا أن تلك البلدان جميعا أو غالبًا ما تتفق في تمتع شعوبها بقدر عال من الحرية والوعي مما فتح لهم الطريق للابتكار والإبداع في نصرة المستضعفين، ولا زالت بلادهم تأتينا كل يوم بالجديد من التجارب التنموية وتلد من الرواد الاجتماعيين ما يذهل المراقبين.

باتاك..الرجل والتجربة

الدكتور بندشوار باتاك Bindheshwar Pathak هو عالم اجتماع هندي ولد في ٢ أبريل عام ١٩٤٣، في قرية رامبور باجيل بولاية بيهار الهندية لأسرة من البراهمة، وحصل

على الدرجة الجامعية في علم الاجتماع عام ١٩٦٤ من كلية باتنا، ثم على الماجستير عام ١٩٨٠، ثم الدكتوراه عام ١٩٨٥، أسس باتاك "مؤسسة سولابه الدولية Sulabh International عام ١٩٧٠ وهي مؤسسة للخدمة الاجتماعية تعمل من أجل إرساء حقوق الإنسان والإصحاح البيئي والترويج لمصادر الطاقة غير التقليدية وإدارة المخلفات والإصلاح الاجتماعي عبر التعليم، وتضم المؤسسة ٥٠ ألف متطوع.

كان "باتاك" قد قابل في مقتبل حياته بعد التخرج بعض الأبواب التي كانت ما إن تفتح حتى تغلق بعد قليل، فقد عمل عام ١٩٦٤ لمدة عام كمدرس في المدرسة الثانوية التي تعلم فيها، لكن آماله في إصلاح حال الطلاب وطرق تعليمهم وتقويمهم اصطدمت بالتقاليد، فما لبث أن عمل عامًا في إحدى محطات الكهرباء، وكان قد تزوج في ذلك العام (١٩٦٥)، ثم ما لبث أن عمل مع أبيه في تجارته لبيع الأدوية الشعبية، ثم عمل لبضعة شهور مُترجمًا بلا أجر من الإنجليزية إلى اللغة الهندية والعكس.

وفي عام ١٩٦٨ كان موعده مع الباب المفتوح لأول الطريق، حيث التحق بالعمل في "لجنة الاحتفال المئوي

لاستعادة حقوق الإنسان" والتي كانت تهدف لإعادة حقوق الإنسان وبعض الكرامة المفقودة لإحدى الطبقات الدنيا في المجتمع الهندي، والتي كانت تعمل – وإلى الأبد – في مهنة جمع المخلفات الآدمية يدويًّا، وقد كانت مهمته هي أن يبحث عن أنظمة بديلة للتخلص من تلك المخلفات، أما المهمة الأكثر صعوبة فكانت البحث عن طريقة لدمج تلك ضحايا تلك الطبقة في التيار الرئيسي للمجتمع الهندي...كانت تلك من أغلى أمنيات المهاتما غاندي، لكن المهمة لم تكن سهلة على ابن طبقة البراهمة وهي من الطبقات العُليا في المجتمع الهندي، لكن مشرفه في العمل سارجو براساد قال له "لا يعنيني إلى أي طبقة تنتمي، ولا أعرف إذا كنت مُهندسًا أم لا، لكن ودونما تنجيم، فإنني أرى في وجهك نورًا، وأرى فيك القدرة على القيام بتلك المهمة"، وهي العبارة التي غيرت مسار حياته للأبد، ومن ثَمَّ أُعطي لـــ"باتاك" كتابان ليقرأهما، كان أحدهما كان من مطبوعات منظمة الصحة العالمية ويتناول "التخلص من المخلفات الآدمية في المناطق الريفية والمجتمعات الصغيرة"، كان هذا الكتاب، والذي حظي بدراسة عميقة من باتاك، ملهما له في رحلته الطويلة التي بدأها لإبداع حلول لتلك المشكلة والخروج بهذه الطبقة من أوضاعها من خلال حركة سولابه للإصحاح Sulabh Sanitation Movement.

منذ تلك اللحظة بدأ "باتاك" رحلته الطويلة:

- ففي عام ١٩٦٨ حور وطور تكنولوجيا مراحيض الصب والتدفق ذات الحفرتين the two-pit pour flush toilets والتي كانت مستخدمة فقط في المناطق الريفية لتتناسب مع الحضر.

- وفي عام ١٩٧٠ كانت الحكومة قد حلت لجنة الاحتفال فأسس "باتاك" منظمة تطوعية، غير حكومية صارت تعرف باسم " منظمة سولابه الدولية للخدمات الاجتماعية" لتقوم بمهمة تحرير أبناء تلك الطبقة من حملة المخلفات الآدمية، وخلال ذلك العام واعتمادا على ٥٠ ألفا من المتطوعين انتشرت أعمال المنظمة في ٢٥ ولاية و٩٨٧ قرية وهو العمل الاجتماعي التطوعي غير المسبوق والذي لا يعتمد على المعونات من أية جهات داخلية أو خارجية، وإنما يعتمد على جهود المتطوعين في التمويل الذاتي.

- وفي عام ١٩٧٢ ابتكر طريقة لتحفيز أبناء تلك الطبقة لتغيير أوضاعهم، وذلك بالتعاون مع الحكومة والسلطات المحلية ومن خلال التواصل المباشر من بيت إلى بيت وباللغات المحلية،

وهي المنهجية التي تبنتها حكومة ولاية بيهار وانتقلت منها إلى ولايات هندية أخرى.

– بداية من عام ١٩٧٣ وخلال ٣٠ عام استطاع أن يخرج بعمله من المستوى الفردي إلى المستوى القومي، حيث بدأ في ذلك العام بعرض نموذجين من المرحاض المعدل في مبنى إحدى البلديات الفرعية في ولاية بيهار، ومنذ ذلك الحين استطاع أن يحول مليون مرحاض إلى النموذج المعدل، وأن يحرر ٢٤٠ ألفًا من حاملي المخلفات الآدمية، وأن يجعل ٢٤٠ مدينة صغيرة خالية تماما من تلك المهنة.

– في عام ١٩٧٤ بدأ في تحويل المراحيض العامة في الهند إلى نظام "ادفع واستخدم" مع استخدام النموذج المطور من المراحيض، واليوم تم تطوير ٦ آلاف مرحاض عام في ٢٥ ولاية و١٠٧٥ مدينة تشمل مدنا كبرى كدلهي وبومباي وكلكتا ومدراس، يستفيد منها ما يقرب من ١٠ ملايين شخص.

– في عام ١٩٧٨ يعقد ملتقى لدراسة التجربة الناجحة لتحرير جامعي المخلفات في بيهار يضم وزارات الصحة والأشغال والإسكان، ومنظمات الصحة العالمية واليونيسيف والبنك الدولي، والذين يشيدون جميعًا بنجاح التجربة ونماذج المراحيض.

– ١٩٨١/١٩٨٠ د.باتاك يستحث وزارة الداخلية الهندية على التبني القانوني لبرنامج تحرير حاملي المخلفات وإعادة تأهيلهم، وهو ما يبدأ تطبيقه في مدينتين من مدن بيهار في نفس العام، ثم ينتقل منها إلى مدن وولايات أخرى، وحكومات الولايات توافق على توفير وظائف بديلة لأبناء تلك الطبقة، حتى لا يبقى أحدا منهم بلا وظيفة، ووزارة الرعاية الاجتماعية الهندية تتولى البرنامج لاحقًا.

– ١٩٨٤: توصيل أول مرحاض عام مطور في أدلاتجانج بولاية باتنا لوحدة لإنتاج البيوجاز تنتج كهرباء تُنير طريقًا عاما بطول ٣ كيلومترات.

– ١٩٨٥: منظمة سولابه تبدأ برنامجًا لتدريب وإعادة تأهيل جامعي المخلفات الآدمية في ولاية بيهار بمعاونة مديرية الرعاية الاجتماعية في الولاية، وذلك لتدريبهم على أعمال الاختزال والطباعة على الآلة الكاتبة، وقيادة السيارات والميكانيكا، وأعمال البناء والنجارة وغيرها، وبمرور الأعوام يمتد المشروع ليشمل أطفال جامعي المخلفات، ولينتشر في ولايات الهند الأخرى، وليشمل التعليم النظامي والتدريب المهني. وفي نفس العام يتبنى كل من صندوق الأمم المتحدة الإنمائي والبنك الدولي نقل منهجية صيانة وإدارة المراحيض

العامة المطورة إلى دول جنوب شرق آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

– ١٩٨٦: باتاك يدفع وزارة الرعاية الاجتماعية إلى مد تطبيق برنامج تدريب وتأهيل جامعي المخلفات لكل من الطائفتين المسلمة والمسيحية في الهند، مع وضع قانون لحماية الحقوق المدنية لجامعي المخلفات.

– ١٩٨٨: د.باتاك يُحقق نجاحًا في حملته للسماح للمنبوذين وجامعي المخلفات بالصلاة في معبد ناثدوارا بولاية راجاستان.

– ١٩٩٠: د.باتاك يقود حملة لترقية الوضع الاجتماعي لجامعي المخلفات في الهند، ويقضي البرنامج بقيام أُسرة من الطبقات العُليا بتبني أسرة من جامعي المخلفات الآدمية، ومعاملتها كمعاملة أفراد الأسرة، وقد استقبلت الحملة بترحاب، حيث قامت خمس آلاف أسرة راقية اجتماعيًّا بتبني عدد مماثل من الأسر من طبقة جامعي المخلفات.

– ١٩٩٢: منظمة سولابه تقود حملة للتوعية بضرورة محاربة المعتقدات والممارسات التي تعوق تحرير وإعادة تأهيل جامعي المخلفات الآدمية، تتضمن فعالياتها عددًا من ورش العمل والحلقات النقاشية والمؤتمرات إضافة إلى المسرحيات

والرقصات الشعبية والأعمال الفنية الأخرى. وفي نفس العام أسست المنظمة مدرسة إنجليزية متوسطة في دلهي لأبناء وبنات جامعي المخلفات، يحتوي برنامجها على ثلاث مكونات: تعليم نظري عام وتدريب مهني إجباري وآخر اختياري، ويتيح لهم برنامج المدرسة عدم انتظار الطوابير الطويلة للتوظيف ويمكنهم من التوظيف الذاتي، وقد حققت المدرسة نجاحًا، ومن ثم تم نقل التجربة إلى ولايات أخرى. كما بدأت المنظمة في مسعاها الجديد من أجل تقديم تسهيلات إسكانية لجامعي المخلفات لتمكينهم من الخروج من بيئاتهم غير الصحية، حيث تم عمل دراسة مسحية لألف أسرة، وتم مخاطبة الحكومة لتوفير قطعة أرض بأسعار رمزية مع إمكانية الحصول على قروض للبناء، وقد نجحت المحاولة، ومن ثم تم تكرارها في ولايات أخرى.

– ١٩٩٤: الدكتور باتاك يؤسس مُتحفًا فريدًا من نوعه للمراحيض والذي يضم عروضًا لتطور المراحيض عبر العصور

– ١٩٩٦: باتاك يشرح التكنولوجيا الجديدة منخفضة التكلفة والصديقة للبيئة في التخلص من مخلفات المياه والتي تعتمد على استخدام الطحلب البطيّ Duckweed والتي تتيح تربية الأسماك عليها.

– ١٩٩٧: سولابه تطور تكنولوجيا جديدة لصناعة الكمبوست من المخلفات القابلة للتحلل الحيوي تسمى تكنولوجيا "ستاك STAC"، والتي يتم من خلالها التحلل خلال ٨-١٠ أيام.

– ١٩٩٨: سولابه تكون لجنة شعبية لإلغاء مهنة جامعي المخلفات الآدمية من الهند.

– ٢٠٠٠: سولابه تبدأ حملة قومية للتوجه إلى الريف لتحسين الإصحاح البيئي الريفي.

– ٢٠٠١: سولابه تتبنى برنامجًا قوميًّا لتدريب النساء على الانخراط في أنشطة الإصحاح، والصحة والنظافة الصحية.

– ٢٠٠٢: سولابه تطور تكنولوجيا جديدة لجعل النواتج السائلة لوحدات البيوجاز خالية من اللون والرائحة والميكروبات تعرف باسم "سيت SET".

– ٢٠٠٣: بدء خطوات تأسيس جامعة سولابه للإصحاح، وتجميع موسوعة للإصحاح، وتأسيس مركز جديد في ألمار بولاية راجاستان للتدريب المهني للمحررين من مهنة جمع المخلفات، بدء أعمال سولابه في مجال الإصحاح بأفغانستان، والحركة تحظى بإشادة صندوق الأمم المتحدة الإنمائي في تقريره السنوي حول التنمية.

– ٢٠٠٥: التسجيل القانوني لأكاديمية سولابه الدولية للإصحاح البيئي في دلهي، ٢٣ مشارك من ٥ دول يحضرون ورشة العمل الدولية حول الإصحاح التي تنظمها الأكاديمية بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية.

باتاك وسولابه..أحلام وآفاق

حركة سولابه التي يقودها بندشوار باتاك كانت حُلمًا تمنى تحقيقه المهاتما غاندي الأب الروحي للهند الحديث، والذي كان أول من التفت للأوضاع المأساوية لجامعي المخلفات الآدمية في الهند، وعلى الرغم من جهوده لتحريرهم حتى قضى نحبه، إلا أنه لم ينجح في تحقيق ذلك خلال حياته، والآن، فإن باتاك وسولابه قطعًا أشواطًا بعيدة في تحقيق ذلك الحلم في تحرير هؤلاء المستعبدين، وفي التنمية البيئية للهند ريفًا وحضرًا، لم يقفا فيها على حدود الحُلم الذي رسمه غاندي، بل إنهما تعدياه إلى آفاق بعيدة مُتخذًا من مدخل الإصحاح البيئي بابًا ليس فقط لتحرير جامعي القمامة فقط، ولكن لتحرير الأجيال القادمة من أبنائهم، حيث حرص على تأسيس مدرسة عامة في دلهي عام ١٩٩٢ تضم ٤٠٠ تلميذ وتلميذة، تأسيس مراكز للتدريب المهني لأبناء جامعي المخلفات تقدم تدريبًا في مجالات صيانة الأجهزة الكهربائية، والكمبيوتر، والتفصيل والكهرباء، والكتابة والاختزال باللغتين الإنجليزية والهندية، والتطريز والخياطة والحلاقة، كما تبنت سولابه برامج أخرى منها برنامجًا لتأسيس مراكز لرفاهية أطفال المناطق العشوائية تقوم بتعليمهم

القراءة والكتابة والتوعية الصحية والبيئية والتدريب المهني، وهي بذلك تجمع بين الأنشطة السابق ذكرها.

ولم يكتف باتاك وسولابه بذلك بل إنهما بالإضافة للأكاديمية الدولية للإصحاح البيئي افتتحا المعهد الدولي للصحة والنظافة، وشيئا فشيئا تتحول سولابه من مجرد حركة محلية إلى حركة عالمية للإصحاح البيئي والتحرر الاجتماعي والتنمية تمتد رسالتها إلى بلدان أخرى من العالم بدءًا بأفغانستان، ويتم اعتماد تجربتها لتكون نموذجًا عالميًا للتنمية البيئية والاجتماعية/ الاقتصادية سائرة على درب يونس وجرامين إلى العديد من الجوائز والاعتراف العالمي بأستاذيتهما في هذا المجال.

للمزيد طالع:

موقع منظمة سولابه الدولية للخدمات الاجتماعية:

http://www.sulabhinternational.org/

وسولابه الدولية على موقع الويكيبيديا

http://en.wikipedia.org/wiki/Sulabh_I
nternational

يا "أرزقية" العالم.. اتحدوا

تجدهم يجوبون الشوارع في كل دولة في العالم بلا كلل أو ملل، يبحثون عن أرزاقهم وسط زحام المواصلات وتهكم البعض واستياء البعض الآخر من الإلحاح في بيع سلعتهم.. إنهم "الأرزقية"، الذين استطاعوا أن ينقلوا نشاطهم من الأرض إلى الإنترنت ليشكلوا حركة عالمية منظمة تدافع عن حقوقهم الاقتصادية التي ما زال البعض لا يعترف بها.. غير أنه قبل التعرف على أبرز المحاولات لتشكيل هذه الحركة.. فلنحدد أولًا من هم الأرزقية؟

سريحة ومتجولون

و"الأرزقية" وصف يطلقه أهل مصر على كل إنسان خرج من بيته -من الشرائح الدنيا الحضرية تحديدًا- يطلب الرزق من العمل الحلال، ولا يُعلم له دخل محدد، ولا تعترف له الدولة بوضع قانوني؛ ومن ثم لا تمنحه أي تأمين اجتماعي أو صحي. ويمكن تصنيف الأرزقية إلى ثلاث أصناف رئيسة هي:

أ- تجار الشوارع: ولهم أصناف فرعية ثلاثة:

- السريحة (وهم من يسرحون في الشوارع والمواصلات العامة يحملون بضائعهم في أيديهم).

- الباعة الجائلون (وهم الذين يتجولون في الشوارع دافعين أمامهم عربات تحمل بضائعهم).
- صغار الباعة في الأسواق العشوائية وغير العشوائية.

ب- عمال التراحيل الجدد (الأرزقية القح): وهم العمال غير المهرة (أي الذين لا يحترفون حرفة معينة، وليس لديهم ما يقدمونه إلا قوتهم البدنية)، وتجدهم جالسين على الأرصفة في الميادين والشوارع ينتظرون من يطلبهم لعمل يتطلب قوة بدنية (كأعمال الهدم، وتنزيل البضائع الثقيلة، ومواد البناء، ورفع مواد البناء للأدوار العليا... وغيره).

ج- الصنايعية: وهم من يحترفون حرفة معينة (كالنقاشين، والميكانيكيين، والكهربائيين، والسباكين، وغيرهم)، وفيهم من يمتلكون الورش، أو المحالّ التي يقدمون من خلالها أعمالهم، ومنهم من لا يمتلك.

وهناك فئات خاصة ضمن "الأرزقية"، مثل:

- النساء العاملات في القطاع غير الرسمي (وهن في العادة من النساء اللائي يَعُلن أُسرًا أو يساهمن في إعالتها)، وهن: النساء في الصنف الأول (أ) والصنف الثالث (ج)، ولهن وضع خاص باعتبارهن نساء.

- الأطفال العاملون: وهم الأطفال من الصنف (أ)، (ج)، ولهم وضع خاص باعتبارهم أطفالًا.
- أطفال الشوارع: وهم إما تطور سيئ للأطفال العاملين، أو أنهم أطفال للأُسر التي يَعُولها صنف من الأصناف الأخرى من (أ) إلى (د).

"سوا".. طليعة القافلة

جاءت بداية حركة تجمع "الأرزقية" من الهند، وبالتحديد عام ١٩٧٢ عندما تم تأسيس "سوا" SEWA أو "جمعية النساء الموظفات ذاتيا" Self Employed Women Assosiation (http://www.sewa.org/) كنقابة عمالية تجمع النساء الفقيرات غير الموظفات لدى أي مؤسسة اللائي يقمن بأعمال فردية صغيرة تجارية أو حرفية لإعالة أنفسهن وأسرهن، ويطلق عليهن أحيانًا العاملات في قطاع الاقتصاد غير الرسمي.

وتهدف "سوا" إلى تنظيم النساء العاملات من أجل تحقيق التوظيف الكامل لهن، أي الحصول على المزايا الكاملة التي يتمتع بها العاملون في المؤسسات المختلفة، من تأمين العمل والدخل والغذاء، وتأمين اجتماعي يحقق لهن على الأقل قدرا من التأمين الصحي ورعاية أطفالهن، وإيجاد مأوى لهن، كما

تهدف أيضا إلى تمتع النساء بالذاتية والاكتفاء الذاتي فرديًا وجماعيًا، سواء على المستوى الاقتصادي أو من حيث قدرتهن على اتخاذ القرار.

وتعمل سوا على تحقيق ذلك من خلال آليتين، هما:

- النضال ضد المعوقات الاجتماعية والاقتصادية التي تُؤثر سلبًا على حياة هذا القطاع من المجتمع.

- والتنمية التي تَمنح النساء قوة تفاوضية وتعطيهن بدائل جديدة. ويتأتى كل ذلك عمليًا من خلال العمل المشترك في النقابة والتعاونيات.

وقد مثل فكر غاندي هاديًا ومُرشدًا للحركة في وضع مبادئها الأربعة: الحقيقة، و "اللاعنف"، وتكامل كل الأديان والشعوب، وتنمية التوظيف والاكتفاء الذاتي.

آفاق سوا محليًا وعالميًا

وقد انطلقت "سوا" لآفاق محلية تدعم نضال النساء الأرزقيات في الهند، وذلك من خلال إنشاء عدد من المؤسسات تساعدها على تحقيق أهدافها ودعم رسالتها، ومن هذه المؤسسات:

• بنك سوا: الذي أنشئ كبنك تعاوني عام ١٩٧٤، يقدم خدماته في الإقراض والادخار المتناهي في الصغر للنساء الفقيرات المعيلات لأنفسهن وأسرهن في الريف والحضر، وقد وصل إجمالي المستفيدات من القروض الصغيرة بنهاية عام ٢٠٠١ إلى ٥٠ ألف حالة، كما بلغ إجمالي النساء المدخرات ١٧٠ ألف مدخرة في نفس الفترة.

• أكاديمية سوا: وقد تأسست عام ١٩٩١ لتكون بمثابة الجامعة لعضوات سوا، تضعهن على أول طريق التعليم الرسمي وتقدم خدماتها لهن في مجال التعليم والتدريب وبناء القدرات والأبحاث. كما تساعد الأكاديمية في خلق فهم مشترك وتوضيح الرؤية الخاصة بالحركة، واكتشاف القيادات وفهم أوضاع النساء الأرزقيات وظروف حياتهن، وتوصيل هذا الفهم لأعضاء الحركة أنفسهن، ولصناع القرار والنشطاء والأكاديميين، وللرأي العام.

• . مؤسسة فيديو سوا: وهي إحدى إبداعات الحركة، والتي تأسست عام ١٩٨٤، ثم تحولت عام ٢٠٠٢ إلى شركة تعاونية، والتي جعلت من "الفيديو" أداة في يد النساء الفقيرات المعيلات لأنفسهن وعائلاتهن، واليوم يقمن من خلال الشركة بإنتاج العديد من أفلام البرامج التعليمية والمعلوماتية الموجهة

لأعضاء سوا؛ لتوعيتهن في مجال الرعاية الصحية ورعاية أطفالهن، وبناء قدراتهن، وإتاحة المعلومات حول أوضاعهن لصناع القرار، وإنتاج كل ما يساعد في ترقيتهن وتمكينهن من حقوقهن كمواطنات في المجتمع الهندي.

• سوا العالمية: وهي مؤسسة خيرية و إغاثيّة سجلت في المملكة المتحدة عقب زلزال "جوجارات" في يناير ٢٠٠١، وتضم عددًا كبيرًا من المتطوعين من كافة التخصصات لتخفيف الفقر والمرض ومساعدة المحتاجين من أعضاء سوا، خاصة في أوقات الكوارث والنكبات، وللمساعدة في تعليم وتدريب الفقراء والمرضى والمعاقين والمحتاجين والضعفاء من أعضاء "سوا" وأسرهم.

تحالف عالمي لتجار الشوارع

تعتبر "الشبكة الدولية للشوارع" Streetnet International (http://www.streetnet.org.za/)، أحد أهم تجليات حركة العولمة البديلة، وهو تحالف لتجار الشوارع تأسس في دربان في نوفمبر عام ٢٠٠٢، ويضم في عضويته اتحادات، وتعاونيات، وروابط باعة الشوارع والأسواق والسرّيحة؛ وذلك بهدف تبادل المعلومات والأفكار حول

القضايا الحرجة التي تواجههم، وتنظيم حملات لمناصرة قضاياهم.

ويحقق ذلك التحالف لهم الفهم المشترك للمشاكل المشتركة التي تواجههم، ويساعدهم على تطوير أفكار جديدة لدعم جهودهم في التنظيم والمناصرة، كما أن ذلك التحالف يحفزهم على الانخراط في حملات دولية من أجل تبني سياسات وأفعال تسهم في تحسين نوعيات حياة الملايين من باعة الشوارع والأسواق والسَّرِّيحة على مستوى العالم.

وقد أُنشئ ذلك التحالف تتويجًا لجهود ممثلي أربع من المنظمات على مدى عدة سنوات، وهي: جمعية النساء الموظفات ذاتيًّا SEWA (الهند)، اتحاد النساء الموظفات ذاتيًّا SEWU (جنوب أفريقيا)، العمل البنكي للنساء (نيويورك)، التحالف العالمي للنساء والائتمان (نيويورك). وذلك بدعم من برنامج السياسات الحضرية في مؤسسة "عولمة وتنظيم النساء في القطاع غير الرسمي"WEIGO".

وأهم ما أثمرت عنه تلك الجهود "إعلان بيلاجيو العالمي لباعة الشوارع" الذي وضعت تلك المنظمات مسودته عام ١٩٩٥، ويؤسس الإعلان للتخطيط من أجل وضع سياسات على المستوى القومي لحماية حقوق باعة الشوارع، كما يدعو

للعمل على أربعة مستويات؛ وهي: التجار (كأفراد وروابط التجار)، وحكومات المدن، والمنظمات الدولية كالأمم المتحدة، ومنظمة العمل الدولية والبنك الدولي.

ويهدف التحالف إلى العمل على مراجعة وتطوير الإعلان كي يكون صالحًا لاستخدام البلديات من أجل سن تشريعات جديدة تراعي حقوق باعة الشوارع والأسواق والسَّرِّيحة. وقد تم تأسيس مقر التحالف في دوربان بجنوب أفريقيا في أوائل عام ٢٠٠٠.

وقد استغرق العمل مدة ٣ سنوات للإعداد لتأسيس الشبكة العالمية للشوارع في نوفمبر عام ٢٠٠٢، وقد شمل الإعداد عقد عدد من ورش العمل الإقليمية، والزيارات الميدانية لاستطلاع أحوال ولقاء منظمات باعة الشوارع والأسواق والسَّرِّيحة في عدد من بلدان قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية.

الشبكة العالمية لعمال البيوت

هناك الملايين من العمال في العالم، أكثرهم من النساء، يقومون بالعديد من الأعمال مدفوعة الأجر في منازلهم، لكن لأنهم يعملون خلف الأبواب المغلقة، فإن أعمالهم تبقى غير منظورة، وليست محل اعتراف أو تقدير. وإذا كانت "سوا" هي أول منظمة شقت جدار الصمت على مستوى العالم، فإن

"الشبكة العالمية لعمال البيوت" أو "HomeNet" هي أول شبكة تضم هؤلاء العمال على مستوى العالم، وقد تأسست في بريطانيا عام ١٩٩٤، وقد شاركت في تأسيسها حركة "سوا" وغيرها من المنظمات الممثلة للذين ينطلقون في أعمالهم من البيوت.

وقد استهدف تأسيس الشبكة تحقيق مجموعة من الأهداف، هي:

- بناء شبكة عالمية للعمال الذين يعملون في المنازل ومنظماتهم، وتعاونياتهم، ونقاباتهم، والباحثين في قضاياهم، والمجموعات النسائية تشمل كل من له صلة مباشرة أو غير مباشرة بالأعمال في ذلك المجال.

- تنسيق حملة عالمية لتحسين أحوال العمل لعمال البيوت على المستوى المحلي والقومي والإقليمي والدولي.

- جمع وبث المعلومات المتعلقة بالعمل في البيوت لأعضاء الشبكة والمنظمات الأخرى المهتمة.

- للمساعدة في الحصول على الدعم الفني، والعمل كقناة لعمال البيوت.

وفي الوقت الذي تنشط حركة "الأرزقية" في العالم للدفاع عن حقوقها، فثمة غياب عربي ملحوظ عن هذه المنظمات؛ وذلك لأسباب عديدة، منها: ضعف حركة المجتمع المدني وطغيان الدولة وعرقلتها أحيانًا لهذه الحركة، علاوة على تدني الثقافة لدى شريحة الأرزقية ذاتها وانغلاقها على همومها المحلية دون الانفتاح على الحركات العالمية.. فيا "أرزقية" العالم.. اتحدوا.

في البرازيل.. الحل الأهلي لأزمة الكهرباء

تعاني الكثير من بلدان العالم النامي أزمات في الكهرباء، إما أن الطاقة الكهربية لا تغطي جميع السكان، أو أنها تنقطع بشكل متكرر تصعب معها الحياة وتضطرب الكثير من المصالح.

وقد وجد الناس في بلد من بلدان الجنوب مثل البرازيل حلا "أهليا" لتوفير الطاقة الكهربية بشكل يستطيع السكان تحمله، من أجل ذلك حصلت تعاونية "كريلوز CRELUZ" البرازيلية على جائزة أشدن الدولية للطاقة المستدامة لعام ٢٠١٠ لنجاحها في توفير الطاقة الكهربية لـــ ٣٥ منطقة سكنية تقع على مساحة ١٣ ألف كيلومتر مربع في ولاية ريو جراند دو سول Rio Grande do Sul فكيف تحقق لها ذلك؟

التعاونية.. والمشكلة

تأسست تعاونية كريلوز عام ١٩٦٦ لتحسين إمدادات الكهرباء في منطقتها، ويعمل فيها الآن ٨٧ موظف بدوام كامل، وتحظى بعضوية ٢٠ ألف أسرة، وبلغ حجم أعمالها السنوي لعام ٢٠٠٩ ١٢,٨ مليون دولار أمريكي، تقع ولاية ريو جراند التي تعمل فيها التعاونية في جنوب البرازيل حيث تضعف شبكة الكهرباء الوطنية، فتنقطع الكهرباء بشكل شبه

دائم، بينما لا تصل الشبكة إلى عدد من الأسر الريفية في الولاية، مما جعل فرص العمل محدودة، وهو ما أدى لهجرة أعداد كبيرة من سكان المنطقة، ومن ثم فقد بدأت أعمال التعاونية أساسًا لتحسين حالة الكهرباء في المناطق الريفية، لكن أعمالها امتدت شيئًا فشيئًا إلى مناطق حضرية، وكانت التعاونية تعتمد في الأساس على شراء الكهرباء من الشركة الوطنية لكن الإمدادات لم تكن كافية ولا يمكن الوثوق بها، لذا قررت التعاونية عام ١٩٩٩ دخول مجال إنتاج الطاقة باستخدام محطات هيدروليكية صغيرة، وهي الآن تملك وتشغل ٦ من تلك المحطات التي تزودها بـــ ٢٧% من احتياجاتها من الطاقة الكهربية.

الحل الأهلي لأزمة الكهرباء

لتنظيم العمل يعقد أعضاء التعاونية جمعية عموميَّة سنويَّة لانتخاب أعضاء المجالس الإدارية والمالية والرئيس والسكرتير وأمين الصندوق، وتقوم المجالس المنتخبة بتعيين مجلس لإدارة الأعمال اليومية ونتيجة للكفاءة والشفافية، يتملك أعضاء التعاونية شُعورًا قويًّا بملكية التعاونية ومشروعاتها، ومنها مشروع إنتاج الكهرباء باستخدام مساقط المياه والذي بنت من أجله التعاونية ٦ محطات صغيرة باستخدام توربينات تنتج طاقة كهربائية تتراوح بين ٠,٢٧ و ١,٢ ميجاوات لكل منها، بمجموع قدره ٣,٩٦ ميجاوات باستخدام تقنيات لا تتسبب

في أضرار كبيرة للبيئة، حيث لا يتطلب عمل المحطة إغراق مساحة كبيرة من الأرض لاستخدامها كخزان للمياه، كما أن اثنين من تلك المحطات بها نظام يسمح للأسماك المهاجرة بعبور سدود المياه، وبأربعة منها أنظمة تسمح بالتحكم في مقدار المياه مما يقي من الفيضانات، وتخرج من تلك المحطات ما مجموعه ٤,٥٠٠ كم من شبكات الكهرباء التي تغذي ٣٦ بلدية بالكهرباء تقع على مساحة ١٣ ألف كيلومتر مربع. يدفع أعضاء التعاونية المستفيدون من خدمة الكهرباء أجرة تساوي التعريفة السائدة وهي ٠,٢٠ دولار (٠,٣٧ ريال برازيلي) لكل كيلوات/ساعة، مع وضع نظام متدرج للتعريفة يسمح بأن يحصل أفقر الفقراء (٦٠٠ أسرة) على الكهرباء مجانًا، بينما يحصل الأقل فقراء عليها بخصومات تصل إلى ٦٤% بينما يحصل الأغنياء عليها بالسعر العادي، حيث تكلف الكهرباء المنتجة من المحطات ٠,٠٤ دولار لكل كيلوات/ساعة بينما تشتري التعاونية باقي الطاقة الكهربائية المحتاجة من الشبكة الوطنية بسعر ٠,٠٦ دولار لكل كيلوات/ساعة، ويسمح الإنتاج الرخيص للكهرباء من محطاتها الهيدروليكية بتحقيق أرباح سنوية بما يسمح بالتوسع في شبكات توزيع الكهرباء وبناء محطات أكثر وتوفير كهرباء رخيصة على الدوام مع القدرة على تخفيض التعريفة للفقراء والقيام ببعض الأنشطة الاجتماعية في المجتمعات المحلية.

ولي فيها مآرب أخرى

يحقق مشروع إنتاج التعاونية للكهرباء عددًا من الفوائد خفضًا في مقدار الانبعاثات الناتجة عن تقنيات إنتاج الكهرباء الأخرى التي تنتجها المحطات الهيدروليكية الكبرى أو تلك التي تستخدم أنواعًا أُخرى من الطاقة، حيث أن المحطات التابعة للتعاونية مصممة لتقليل الآثار البيئية السلبية على البيئة المحلية، حيث أن بناء كل محطة من المحطات يصاحبه بناء عدد من الأشجار البرازيلية على حافة النهر لتمنع تآكل التربة. هذا على المستوى البيئي، أما على المستوى الاجتماعي؛ فإن إمداد المناطق المحرومة بالكهرباء يتيح الفرصة لحياة أفضل لسكان المنطقة، ويقلل هجرتهم بحثًا عن حياة أفضل، كما أن التعاونية تشارك في عدد من المشاريع الخيرية التي يستفيد منها فقراء المنطقة ومن ذلك مشاريع توفير مياه الشرب النقية لمائة مجتمع محلي ريفي، إضافة إلى مد الكهرباء للأسر الفقيرة كما قلنا، إضافة إلى ذلك فإن محطات إنتاج الكهرباء مصممة لتكون محطات تعليمية يتعلم منها الطلاب بعض المعلومات العملية حول إنتاج الطاقة، كما أن المحطات تُمَثِّل منطقة جذب سياحي مما يوفر دخلًا لأهل المجتمعات المحيطة. إضافة إلى ما سبق فإن توافر الكهرباء الدائم يتيح الفرصة لإقامة عدد من المشاريع المدرة للدخل مثل مشاريع إنتاج الألبان وتبريدها ومضخات لحفارات المناجم.

تسعى تعاونية كريلوز للاعتماد الكامل على الإنتاج المحلي من الكهرباء، ومن ثم فإنها دخلت في إقامة تعاونية تعاونيات

تضم ٤ تعاونيات أخرى، حيث تخطط لبناء محطتين أخريين لإنتاج ما مجموعه ٤١ ميجاوات، إضافة إلى تحديد ١٠ مواقع لبناء ١٠ محطات أخرى.

تعاونياتنا وتعاونياتهم

على الرغم من التاريخ الطويل لحركة التعاونيات في بلادنا (منذ عام ١٩٠٨)، وبالرغم من الاقتصادية والنهضة إلا أن التاريخ الطويل من التدخل الحكومي في شئون التعاونيات وإدخالها لاحقًا في كهف الحكومات الثورية أصابها لدينا بالعطب والشلل ناهيك عن إصابتها في مقتل بتحويلها من حركة أهلية إلى حركة مؤممة ملحقة بالحكومات بفسادها واستبدادها[٧]، أما في خارج بلادنا فإن التعاونيات تجحت في أن تحلق بعيدًا في آفاق تحقيق مصالح الناس في المعاش الحر الكريم، ومن ثم فإن أمامنا وقت طويل من النضال حتى نعيد تحرير تعاونياتنا لتكون كتعاونياتهم.

مصدر:

- موقع جوائز أشدن للطاقة المستدامة:
/http://www.ashdenawards.org
- موقع تعاونية كريلوز بالبرتغالية:
/http://portal.creluz.com.br

[٧] طالع حول تطور أحوال التعاونيات لدينا مقارنة بغيرنا: مجدي سعيد، حركة التعاونيات..الطاقة التنموية المهدرة، طنطا، دار البشير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.

إماطة الأذى عن الطريق.. صدقة وحركة

من بين الأحاديث التي يحفظها الكثيرون ويجدون لها همسًا في القلب ولمسًا رقيقًا للنفس ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)، لكن تلك الصدقات البسيطة لم تجد لدينا إلا تطبيقًا بسيطًا لها، بل إننا نجد من سلوكيات البعض من ساكني المدن الحديثة خاصة إعراضًا عن القيام بصدقة واحدة منها كـــ"إماطة الأذى عن الطريق"، فتحول الأذى في طرقاتنا إلى كارثة، لا..ليس طرقاتنا وفقط، بل وحتى سلالم عماراتنا التي أصبحت مرتعًا للأذى تعبث به الكلاب والقطط الضالة، وكان من المدهش أن أصادف مُؤخرًا فنلنديا يدعوني للانضمام إلى حركة عالمية لـــ"إماطة الأذى عن الطريق" تتخذ من الإنترنت وسيلة لنشر مبادئها وأفكارها، وقد وجدت أن الأمر يستحق الكتابة استنادا إلى مرجعيتنا فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

عالم من الفضلات

ولعله من المفيد قبل أن نشرع في تقديم التجربة أن نحيط القارئ علما بالأذى أو الفضلات التي تحملها لنا أنماط حياتنا الاستهلاكية المعاصرة، تعرف موسوعة الويكي الشعبية Wikipedia على الإنترنت الفضلات Litter بأنها تلك "الممتلكات الخاصة الملموسة التي تتواجد بالمخالفة للقانون مبعثرة أو متروكة بالأماكن العامة خارج أبواب المنازل"، وتشمل أصنافا ثلاثة رئيسية: فضلات ضارة وفضلات قابلة لإعادة الاستخدام أو التدوير، وفضلات غير ضارة وغير قابلة لإعادة الاستخدام مرة ثانية، وتتضمن تلك الأصناف قائمة طويلة تضم: أغلفة الحلوى والأطعمة، المناديل الورقية، مخلفات الأطعمة، العلب المعدنية للمشروبات والأطعمة، والجلود، والملابس والمنسوجات، والأخشاب، والزجاج، وبقايا الإطارات، وقطع غيار السيارات التالفة، والزجاجات والأكياس البلاستيكية. وتلوث تلك الفضلات كل مساحات الفضاء العام من سلالم العمارات وجوانب الشوارع والطرقات إلى الحدائق والمتنزهات إلى مجاري المياه. وتتسبب تلك الفضلات في العديد من المشكلات المتعلقة بالأمان والصحة العامة حيث تمثل مرتعًا خصبًا للحشرات والقوارض الضارة

إضافة إلى تسببها في التلوث البصري ونتن الرائحة وتلوث التربة ومصادر مياه الشرب وسد المجاري المائية مما يتسبب في أذى الإنسان والحيوان والنبات. وتتمثل خطورة كثير من تلك الفضلات إذا لم تكن قابلة لإعادة الاستخدام أو إعادة التدوير أنها لا تتحلل بسهولة في التربة (حول تحلل الفضلات في التربة راجع الويكيبيديا) فالكرتون المغلف بالبلاستيك يستغرق خمس سنوات ليتحلل، أما الأحذية الجلدية فتحتاج من ٢٥ إلى ٤٠ عام، والنايلون من ٣٠ إلى ٤٠ عام، والعلب القصدير من ٥٠ إلى ١٠٠ عام، والألمنيوم من ٨٠ إلى ١٠٠ عام، أما الحلقات البلاستيكية سداسي الطبقات فيحتاج إلى ٤٥٠ عام، أما الزجاج فيحتاج إلى مليون عام، بينما تبقى الزجاجات البلاستيكية فتبقى إلى الأبد.

ظهر الفساد في البر والبحر

من كل ما سبق نتبين معنى قول الحق: "ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس" (الروم- آية٤١)، ومعنى وصف الرسول لتلك الفضلات بالأذى، وحكمة أن يكون سلوك الإماطة عن الطريق "صدقة"، ولا أدري في الحقيقة كيف يمكن أن نصف سلوك الناس في "إفساد المجال العام"، أهو ناتج عن حمى الاستهلاك؟ أم عن سلوك اللامبالاة؟ أم عن ضعف

الوازع الديني وانسحاب دعوات التزكية من حث الناس على تحسين سلوكياتهم وأخلاقياتهم العامة تجاه الآخرين وتجاه المجتمع بأسره؟ واكتفائها بأن تدعوهم إلى الإكثار من العبادات والإفلاس في الآخرة بصمتها عن دعوتهم إلى الكف عن الإفساد في الأرض، وعن دعوتهم إلى إصلاح ما أفسدوه وما يستمرون في إفساده إذا أرادوا توبة وقربًا حقيقيا من الله؟ لعل تلك التساؤلات وغيرها هو ما دفع صحفية فنلندية تدعى توولا- ماريا آهونن إلى أن تطرح مبادرتها بتأسيس "حركة الفضلات" أو Litter Movement عام ٢٠٠٠ وتتحرك لتأسيس هذه المبادرة على الأرض مع ابنتيها الصغيرتين ليزا ولونا، وهي حركة في غاية البساطة، فهي لا تطلب من أعضائها ملأ استمارات للعضوية، ولا أن يسددوا اشتراكات، فقط على من أراد أن يكون عضوًا أن يميط أذى واحد عن الطريق كل يوم، ويدعو واحدًا إلى تلك الفضيلة، وإلى أن يلتقي هؤلاء الأعضاء في مجموعة إليكترونية يتبادلون الدعم والخبرات والتجارب إيمانا منهم بأن روحًا عظيمة تسري من الأعمال البسيطة، وبأن إماطة أذى واحد من قبل إنسان، هو إماطة لأذى عظيم عن الإنسانية..أرأيتم أجمل من ذلك؟!

وفي صفحتها على الإنترنت حول الحركة تتساءل توولا-ماريا: أي معنى في أن ننفق أموال ضرائبنا في أن ننفق أموالنا في تنظيف الفضلات التي ألقاها الناس على الأرض، بينما تقطع الحكومات المعونات عن رعاية الأطفال والمرضى والمسنين؟ كما تتساءل: من السهل أن نحكم على الناس الذين يلقون بفضلاتهم ولكن هل يصنع ذلك فرقًا؟ وتقول بأن أعضاء تلك الحركة قد اختاروا طريقًا مُختلفًا، وكما تقول فإنه كلما كانت هناك فضلات أقل على الأرض فإن ذلك يدفع الناس إلى الإقلال من إلقاء فضلاتهم، وقد دفعت الحركة الكثير ممن كانوا يلقون بفضلاتهم على الأرض إلى الوقوف والتساؤل وتغيير أنماط سلوكياتهم، وكما تؤكد فإن هناك أعضاء للحركة في كل قارات الأرض من الأرجنتين وأستراليا جنوبا إلى لابلاند Lapland شمالا، أطفالًا وشبابًا وشيوخًا أُسرا ومدارس، وكما تقول فإن فردًا واحدًا يمكنه أن يصنع القليل لكننا معًا يمكننا أن نخلق بيئة أكثر راحة وأمنا للإنسان والحيوان، وكما تؤكد فإن من الخير للإنسان أن يفعل ما يدل على أنه ذو عناية واهتمام بالشأن العام، وكما تؤكد فإن العضوية ليست أكثر من التزام شخصي، وقد استحقت تلك المبادرة البسيطة أن تسجل في "بنك الأفكار العالمية"، وأن تمنح جائزة رؤية العام الفنلندية عام ٢٠٠١.

الصدقات..حركات ومؤسسات

لعل أفضل ما توحي به تلك التجربة البسيطة والعظيمة في آن، هو أن الصدقات الجميلة الرقيقة التي تمس شغاف قلب المتصدق والتي ذكرها لنا الحديث وغيرها مما جاءت بها نصوص الشرع الحنيف تعظم نتائجها إذا تحولت من مجرد سلوك فردي "مندوب"، إلى حركات ومؤسسات ترى في ذلك المندوب واجبًا كفائيًا على أقل تقدير في ظل تعاظم المشكلات الناتجة عن اتكال الناس على أن الأمر لا يعدو أن يكون فضلًا لا إلزام فيه، والناتجة عن اعتماد الجميع على الجميع حتى تحولت فضاءاتنا العامة إلى مجمعات للأذى.

بذور التدريب.. من أجل التغيير

أما آن للطامحين إلى التغيير المتعجلين قطف ثماره أن يعلموا أن موسم الحصاد لم يحن بعد؟ فلا زال عليهم بذل الجهود في غرس بذور التغيير تعليمًا وتدريبًا، وفي رعايتها بالتعليم والتدريب والتوجيه المستمر حتى يكون النبت كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، هذا السؤال وتلك الملاحظة لابد أن يقفزا إلى ذهنك وأنت تقرأ هذا الاسم الملهم لتجربة من تجارب المؤسسات الأهلية البريطانية جعلت من التدريب والاستشارات محورًا لعملها.

اسم على مسمى

ليس ما يلهم في التجربة اسمها فقط، لكن ما يلهم فيها أيضا هو بنيتها ورسالتها، فـ"بذور من أجل التغيير أو Seeds for Change" هي شبكة تعاونية غير هادفة للربح تعمل في مجال تدريب ودعم المنظمات والحركات الأهلية في مجالات تنظيم الحملات والأنشطة التي تهدف إلى التغيير الاجتماعي.

تتكون الشبكة كتعاونية ثانوية ناتجة عن تجمع عدد من التعاونيات العمالية التي قررت أن تعمل سويًّا في هذا المجال، وقد تأسست الشبكة كتعاونية غير رسمية عام ٢٠٠٠، وتعمل الشبكة اليوم بشكل رسمي في كل من أكسفورد ولانكستر بالمملكة المتحدة.

قامت المجموعة منذ تأسيسها بتقديم عدد من الحلقات التدريبية وورش العمل في عدد من البلدان استهدفت الناشطين الأهليين في مجالات البيئة والعدالة الاجتماعية بهدف زيادة فاعلية حملاتهم كي تحدث أنشطتهم تغييرات إيجابية أكثر ديمومة، ويتم تمويل أعمال الشبكة من خلال التبرعات ومن خلال عمل أفراد الفريق كمدربين بأجر جزءا من الوقت.

وللأعمال أخلاق:

تلتزم الشبكة بمنظومة من أخلاقيات العمل الخاصة بها تتمحور حول البيئة بشكل أساسي، حيث يصف القائمون عليها أنفسهم بـــ"الأصوليين البيئيين"، وأنهم يراعون في أعمالهم أعلى المعايير البيئية والاجتماعية، ولا يأخذون في اعتبارهم الأثر البيئي لأعمالهم على مجتمعاتهم فقط، بل على المجتمعات الأكثر فقرًا في العالم بشكل أخص، وعلى الكائنات الحية من غير الإنسان، وتندرج المعايير الأخلاقية التي يتبعونها تحت بعض العناوين:

١.تقليل كميات الموارد المستخدمة وتقليل التلوث الناتج عنها: وذلك من خلال استخدام التواصل الإلكتروني بديلًا للتواصل الورقي، وإعادة تدوير الورق المستخدم، واستخدام مصادر للطاقة المتجددة في أعمالهم كلما كان ذلك مُمكنًا، مع تقليل استهلاك الطاقة قدر الإمكان، وتوفير دراجات هوائية للعاملين لاستخدامها، واستخدام وسائل بيئية للتنظيف، واستخدام وسائل النقل العام وعدم استخدام النقل الجوي، واستخدام الأجهزة المستعملة (كالأثاث وأجهزة الكمبيوتر)، وإعادة تدوير المخلفات الناتجة عن العمل بأفضل السبل.

٢-تقليل دعم الشبكة للشركات العابرة للقوميات والأنظمة القهرية المخربة: وذلك بالشراء من البائعين المحليين الصغار والتعاونيات والاستثمارات الاجتماعية أو أية مصادر مجتمعية بديلة للشركات الكبرى، والاقتداء بحركات المقاطعة المحترمة، وشراء الغذاء المنتج بالطرق المستدامة، وإيداع الأموال لدى البنوك الأخلاقية وجمعيات الادخار، واختيار شركات التأمين الملتزمة بأعلى المعايير الأخلاقية، واستخدام البرمجيات الحرة كلما كان ذلك ممكنا.

٣-خفض التأثيرات السلبية على الكائنات الحية:الاقتصار على توفير الغذاء النباتي.

أجرتنا.. أكلة ومنامة

تقدم الشبكة تدريباتها حسب احتياجات المجموعات والمنظمات، وذلك في مجالات العمل الجماعي كآلية اتخاذ القرارات وكيف تتحول المنظمات إلى بنية غير تراتبية وكيفية إدارة الاجتماعات، كما تقدم تدريبات في مجال تأسيس وتنظيم المجموعات وتخطيط الحملات وجمع المعلومات وتحقيق الانتشار من خلال إعداد المواد الإعلامية والأحاديث العامة، وتنظيم الأنشطة العامة والعمل مع الصحافة، إضافة إلى التدريب في مجال تغيير موازين القوى وفي مجال تمويل الأنشطة.

كما تقدم الشبكة تدريبا في مجال تأسيس وتشغيل التعاونيات ومراكز المجتمع، وتقدم الشبكة خدماتها التدريبية مجانًا للجمعيات والحركات الأهلية، مكتفية بتوفير مكان للمبيت، وأن تيسر طعامًا نباتيا ومساهمة في تكاليف السفر، فـ"يكونون من الشاكرين"، كما تتيح الشبكة موادها التدريبية للتنزيل مجانًا على موقعها، معلنة أن تلك المواد ضد حقوق الملكية الفكرية، وأن أي أحد يريد استخدامها كما هي أو تعديلها وتوزيعها فلا ضير طالما التزم بمبدأ "لا حقوق ملكية فكرية".

نحن أحوج لهذه الروح

نحن أحوج لروح الخدمة العامة ببذل العلم والمعرفة، وأحوج لتوجيه كثير من جهود العمل الأهلي إلى مجالات التدريب والاستشارات في شتى مجالات الحياة، وأحوج للالتزام بالقيم والمبادئ في العمل الأهلي والاعتماد على الذات، حيث صارت الكثير من دكاكين "المجتمع المدني" العاملة في مجال التدريب ليست إلا وكالات للاسترزاق من التمويل الأجنبي والعزف على نغماته.

"ناشيونال جيوجرافيك".. إمبراطورية الإطار الأصفر!

مع مطلع شهر أكتوبر ٢٠١٠ صدرت مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" العربية عن شركة "أبو ظبي للإعلام"، ومنذ سنوات تصدر مجموعة شركات نهضة مصر للنشر مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" للأطفال (أو للشباب كما تفضل الشركة أن تسميها)، فمن ذا الذي لا يعرف "ناشيونال جيوجرافيك" في العالم سواء بمجلاتها أو قنواتها الأشهر؟

وبالرغم من هذه المعرفة والشهرة، فإن من حقنا أن نسأل: من منا يعرف حقا "ناشيونال جيوجرافيك"؟ ومن منا تحيط معرفته بتلك "الإمبراطورية" الإعلامية والتعليمية الضخمة الممتدة امتداد الجغرافيا والتاريخ؟ ففي محاولة للإبحار لاستكشاف عالم "ناشيونال جيوجرافيك" ندبج تلك السطور.

١٢٢ عاما من التمدد

في الثالث عشر من يناير عام ١٨٨٨، وتحديدًا منذ أكثر من ١٢٢ عاما، اجتمع في أحد نوادي العاصمة الأمريكية واشنطون ٣٣ من المستكشفين والعلماء وهواة السفر لتأسيس جمعية تعمل على زيادة ونشر المعارف الجغرافية، وبعد أسبوعين

تأسست "الجمعية الجغرافية الوطنية" وتولى رئاستها جاردنر جرين هوبارد Greene Hubbard Gardner.

وبعد ٩ أشهر من تأسيس الجمعية صدر العدد الأول من مجلة ناشيونال جيوجرافيك، والتي تميزت بإطارها الأصفر الشهير، والذي أصبح شعارًا للجمعية وجميع أفراد عائلة ناشيونال جيوجرافيك، والجمعية هي من أكبر المؤسسات العلمية والتعليمية غير الربحية في العالم، والتي تنص رسالتها على نشر المعارف الجغرافية من خلال التشجيع على حفظ الموارد الثقافية والتاريخية والطبيعية".

وتتضمن مجالات اهتمامها كلا من علوم الجغرافيا والآثار والطبيعة، وتعزيز المحافظة على البيئة والآثار التاريخية ودراسة الثقافة والتاريخ العالمي، ويشير الرئيس الحالي للجمعية جون فاهي (منذ مارس ١٩٩٨) إلى أن الغرض الأساسي للجمعية في المجمل هو إلهام الناس من أجل العناية بكوكبهم.

يدير الجمعية/الإمبراطورية مجلس أمناء مكون من ٢٢ عضوا، من رجال التعليم والأعمال والحكوميين السابقين، وتطبع الجمعية مجلة ناشيونال جيوجرافيك إضافة إلى عدد آخر من المجلات والكتب والمنتجات المدرسية والخرائط والمطبوعات، وتُدير موقعًا إلكترونيًا وتنتج مواد فيلمية بالعديد من اللغات في

عدد من بلدان العالم وتصل المنتجات الإعلامية للجمعية إلى أكثر من ٣٥٠ مليون شخص حول العالم شهريًا.

كما تمتلك الجمعية مؤسسة تعليمية تُعطي منحًا للمنظمات التعليمية والأفراد لتشجع التعليم الجغرافي، كما أنها ترعى وتمول البحث والاستكشاف العلمي في العالم، ولدى الجمعية مُتحف مجاني في واشنطن، وعدد آخر في المتاحف في المدن الأمريكية الكبرى، كما ترعى الجمعية عددًا من المعارض الجوالة، مثل معرض الملك توت عنخ آمون.

الإمبراطورية الإعلامية

يتبع جمعية ناشيونال جيوجرافيك عدد من الإصدارات الإعلامية:

• مجلة" ناشيونال جيوجرافيك": وهي أقدم تلك الإصدارات؛ حيث صدر العدد الأول منها في أكتوبر عام ١٨٨٨، والتي صدرت بعد ثمانية أشهر من تأسيس الجمعية مستفيدة من الإعفاء الضريبي الذي تتمتع به الجمعيات الأهلية في الولايات المتحدة .

تصدر المجلة شهرية محتوية على مقالات حول الجغرافيا والعلوم الشعبية وتاريخ العالم والثقافة والأحداث الجارية وصور

الأماكن والأشياء من جميع أنحاء العالم والكون، وتطبع المجلة الآن ٣٢ طبعة باثنين وثلاثين لغة حول العالم، وتوزع في طبعاتها المختلفة تلك ٩ ملايين نسخة شهريا يقرؤها ما يزيد عن ٥٠ مليون قارئ حول العالم.

- ناشيونال جيوجرافيك للأطفال: تأسست عام ١٩٧٥ باسم "عالم ناشيونال جيوجرافيك"، وتغير اسمها عام ٢٠٠١، وتوزع ١,٥ مليون نسخة، ويصدر منها ١٨ طبعة محلية بثمانية عشرة لغة يطبع منها مجتمعة ما يزيد على نصف مليون نسخة، وكانت الطبعة العربية لها قد صدرت في بدايات عام ٢٠٠٧ في مصر؛ حيث يوزع منها ٤٢ ألف نسخة على المدارس العامة ويوزع منها ١٥ ألف نسخة توزيعا عاما، كما صدرت حديثا طبعتان إحداهما بالألبانية والأخرى بالبولندية .

- ناشيونال جيوجرافيك للأطفال الصغار: من سن ٣-٦ سنوات.

- ناشيونال جيوجرافيك للمسافرين: صدرت عام ١٩٨٤، ويصدر منها طبعات بتسع لغات.

- ناشيونال جيوجرافيك للمغامرات: وقد تأسست عام ١٩٩٩.

• ناشيونال جيوجرافيك للمستكشفين: وهي مجلة للفصول الدراسية تأسست عام ٢٠٠١، ووزع منها ٢,٥ مليون نسخة.

• ناشيونال جيوجرافيك الدليل الأخضر: تأسست عام ٢٠٠٣ لإرشاد القراء حول كيفية العيش الأخضر (المتوافق مع البيئة)، لكن نسختها المطبوعة توقفت عن الصدور منذ يناير ٢٠٠٩.

• مجلة اللمحة: وتصدر مع مجلة ناشيونال جيوجرافيك.

• كنوز الأرض: وتعنى بالمعادن والأحجار الكريمة.

• قناة ناشيونال جيوجرافيك الفضائية: كان الإنتاج التلفزيوني لناشيونال جيوجرافيك يبث على المحطات التلفزيونية مثل سي بي إسCBS ، وإيه بي سيABC ، وبي بي إس PBSوغيرها من المحطات الأمريكية والعالمية، وفي عام ١٩٩٧ تم تأسيس أول قناة فضائية عالمية لناشيونال جيوجرافيك، واليوم تبث القناة في ١٤٣ بلدا بـــ ٢٦ لغة، وتحتوي قنواتها على الوثائقيات التي تتناول الطبيعة والعلوم والثقافة والتاريخ.

• المواقع الإلكترونية: للجمعية وأنشطتها الإعلامية والتعليمية مواقع إلكترونية عديدة كالموقع الرسمي للجمعية، وموقع المجلة، وموقع الأطفال، والأخبار، والتصوير، والخرائط، والسفر، والاستكشاف، والقناة الفضائية، والبعثات، وموقع المتحف، وموقع للمكتبات والمعلومات، والتعليم.

الوجه التعليمي للإمبراطورية

لا يقل الوجه التعليمي لناشيونال جيوجرافيك أهمية عن وجهها الإعلامي، وتتكون منظومة التعليم في المؤسسة من:

- المؤسسة التعليمية: وتهدف إلى تحفيز وتمكين الأجيال الجديدة من المعرفة الجغرافية، وذلك من خلال توفير جوائز ومنح مقدارها ٥ ملايين دولار سنويا لدعم تدريب وتواصل المدرسين مع المجتمع، ودعم البرامج الأخرى التي تروج للتعليم الجغرافي.

وفي القلب من ذلك ما يعرف باسم تحالفات الجغرافيا وهي شبكات أهلية تضم الأكاديميين والمدرسين من أجل التطوير المهني والتشبيك وغير ذلك. النشاط الآخر الذي تقوم به المؤسسة هو لإصلاح السياسات الخاصة باستثناء الجغرافيا من الدعم المالي الفيدرالي من بين التخصصات الأكاديمية.

وأنشطة التوعية العامة، والتي يقع في القلب منها حملة "عالمنا الرائع"، والتي تتشارك فيها مع عدد من مؤسسات الأعمال والمنظمات غير الربحية.

- مسابقة نحلة ناشيونال جيوجرافيك: وهي مسابقة سنوية بين المدارس في الولايات المتحدة يشارك فيها فرق مكونة من المدرسين وتلاميذهم يستخدمون فيها مواد من إنتاج الجمعية ويدخلون في مسابقة تهدف إلى جذب انتباه الطلاب وحبهم للجغرافيا واختبار معلوماتهم الجغرافية، ويشارك فيها الطلاب من الصف الرابع إلى الثامن.

- حملة عالمنا الرائع: وتهدف إلى توسيع دائرة التعلم الجغرافي في المدرسة والمنزل والمجتمع لإكساب الأبناء قوة المعرفة العالمية وإفهامهم أن الجغرافيا هي أكثر من مجرد أماكن على الخرائط، إنها تعني التواصل العالمي بين الشعوب والثقافات والاقتصاديات والبيئات العالمية، وقد شارك في الحملة منذ تدشينها أكثر من ٨٠ ألفًا، وتتضمن الحملة عددًا من الأنشطة والفعاليات من أهمها الأسبوع القومي للجغرافيا.

- سلاسل الثقافة الجغرافية للأطفال: من مجلات وكتب.

- مصادر إلكترونية للمعارف الجغرافية للأطفال والمعلمين تحتوي على مواد صوت وفيديو وأخبار وصور وخرائط وغير ذلك.

- مشروع جاسون: ويربط بين الطلاب وكبار المستكشفين والأحداث الاستكشافية الكبرى من أجل إلهامهم وتحفيزهم على تعلم العلوم، وقد تأسس هذا البرنامج على يد "روبرت بالارد" عالم البحار والمستكشف الشهير عام ١٩٨٩، وذلك في أعقاب اكتشافه لحطام سفينة "تايتانيك" وقد أسس هذا البرنامج في أعقاب تلقيه آلاف الرسائل من طلاب المدارس المتوسطة خلال الأشهر التالية للاكتشاف طالبين منه أن يلتحقوا به في البعثات الاستكشافية التالية، حينها أدرك "بالارد" أن اكتشافه قد فجر ينابيع من الشغف والاستثارة حول العلوم، ومن ثم قرر أن يغذي ذلك الشغف، من هنا نشأ البرنامج الذي سُمي بالمستكشف اليوناني الأسطوري.

وخلال تلك الفترة من بدء البرنامج حتى الآن ربط البرنامج ١٠ ملايين من الطلاب والمعلمين مع بعثات استكشافية حقيقية، ويتضمن البرنامج عددًا من المناهج العلمية التنافسية بين الطلاب والممولة من عدد من الجهات العلمية.

هامش على متن الإمبراطورية

ربما لم أفلح تمامًا في الإحاطة بالأبعاد الأفقية والرأسية للإمبراطورية الإعلامية والتعليمية اتساعًا وعمقًا وتاريخًا، وإنما ألقيت عليها نظرة طائر محلق حاول أن تستوعب عيناه معظم أبعاد الصورة، وأن ينقل ما استوعبه إلى قومه، لعلهم يتحركون ويفيقون.

فإذا كنا قد تأخرنا عن اللحاق بركب التقدم سنين طويلة لأسباب كثيرة، فإن الواجب علينا ألا نتخلف أيضًا عن الأخذ بأسباب ذلك التقدم، ومنها تقديم إعلام وتعليم، وتنشئة علمية تستثير الشغف بالعلوم، وتثمر جيلًا أكثر قدرة على صناعة النهضة، وإذا كانت مجلتا ناشيونال جيوجرافيك المترجمتان إلى العربية هما خطوتين على الطريق، فلا زال الطريق يحتاج إلى مئات الخطوات.

---

* ارتبطت الأنشطة الاستكشافية في تلك الفترة وما قبلها، والتي كان منبعها من مختلف الدول الغربية ومصبها في دول العالم القديم والشعوب الأصلية للعالم الجديد، ارتبطت بالمصالح الاستعمارية لتلك الدول، وساهمت في نشأة وتطور علمي الأنثروبولوجيا والاستشراق، وساهمت نشأة وتطور تلك العلوم بدورها في تطور تلك الأنشطة الاستكشافية.

المصادر:

التعريف بجمعية ناشيونال جيوجرافيك على الويكيبيديا:
http://en.wikipedia.org/wiki/National_G
eographic_Society

وموقع المشاريع التعليمية لناشيونال جيوجرافيك
http://education.nationalgeographic.com
//education

خاتمة..

فسيفساء التنمية والنهضة

لعل القارئ يجد أن ما قدمته هنا في هذا الكتاب لا يعدو أن يكون فسيفساء لا تصنع صورة متكاملة، لكنني عمدت إلى ذلك عمدًا، لأنبه ذهن القارئ إلى أن ما نحتاجه في حياتنا من تنمية ونهضة إنما يشمل جوانب قد تبدو متباعدة ولكنها تتلاقى في النهاية في صناعة مستقبل أفضل للوطن والأمة ولكي نجمع أجزاء الصورة سويًا دعونا نقول أننا بحاجة إلى:

– إعادة صياغة الإنسان المصري والعربي: والمبدأين الأساسيين في صياغته هما الإيمان والأخلاق، نحن بحاجة إلى عشرات ومئات المبادرات التي تعيد صياغة الإنسان حتى يمتزج الإيمان بالله (أيا كانت ديانته) والأخلاق بدمائه فتنطبع بها سلوكياته، ولنا في تجربة واحة الصبيان المصرية ومنهاج التفكر الأردنية أمثلة.

– العلم: فلا تقدم ولا تنمية ولا نهضة دون علم، ولا علم دون بحث علمي وإبداع وابتكار تكنولوجي، ولكي يتحقق ذلك لابد من "مناخ" موات ومنظومة فعالة، ولنا في تجربة نحل العسل الهندية وتجربة ناشيونال جيوجرافيك أمثلة.

- تنمية اجتماعية: تشمل جميع فئات الشعب وعلى الأخص الفئات الفقيرة والضعيفة والمهمشة، ولنا في التجارب الآسيوية واللاتينية الواردة أمثلة.

- تنمية اقتصادية: تشمل قطاعات المال والأعمال يتاح فيها للفقير قبل الغني الفرصة للاستثمار والعمل الحر، مع ضرورة مشاركة أصحاب المال والأعمال كبيرهم وقبل صغيرهم في مسئولياتهم الاجتماعية، ولنا في تجربة بنوك الادخار المحلي ونبيل الموجي أمثلة.

- تفعيل أدوات ومؤسسات التعليم والتربية والتدريب: فهي أدواتنا في تحقيق كل ما سبق من مجالات التنمية والنهضة، من خلال العمل الأهلي.

- إطلاق حرية العمل الأهلي: بأشكاله وتنظيماته المختلفة فالناس في تنظيماتهم ومنظماتهم الأهلية هم أحرص الناس على المصلحة العامة، وعلى الدولة أن تتيح لهم المناخ الحر الإيجابي للعمل، مع حق المراقبة المالية والإدارية الذي يمارسه المجتمع مُمثلا في أجهزته الرقابية (كالجهاز المركزي للمحاسبات) بعضه على بعض.

بهذا الموزاييك أو الفسيفساء نصنع سويا صورة للوطن والأمة نعتز بالانتماء إليها.

ملحق: إعلان بيلاجيو العالمي لباعة الشوارع ١٩٩٥

آخذين في الاعتبار:

• تنامي طوائف "السرّيحة" والباعة الفقراء بما فيهم الأطفال في ظل النمو السريع للقطاع الحضري.

• نظرة النخب الحضرية ومُخططي المدن على السواء إليهم دائما على أنهم معوق من معوقات النمو المخطط للمدن؛ وذلك بسبب الفقر والبطالة والتهجير والهجرة، وبالرُغم من الخدمات المفيدة التي يقدمونها للمجتمع.

• أن السرّيحة والباعة معرضون بشكل مستمر لتعذيب عقلي وبدني من قبل السلطات المحلية، كما أنهم يتعرضون لأشكال أخرى من المضايقات تؤدي أحيانًا إلى حالة من الفوضى، وضياع ممتلكاتهم وأموالهم.

• أنه لا يكاد يكون هناك توافق عام على احتياجات باعة الشوارع على مستوى العالم.

وبناءً عليه فإننا نستحث الحكومات على تبني سياسات قومية للسرّيحة والعامة بجعلهم جُزءًا من سياسات هيكلية أوسع تستهدف تحسين مستويات معيشتهم، بمراعاة ما يلي:

• إعطاء الباعة وضعًا قانونيًّا بضمان التراخيص لهم، وتفعيل القوانين، وتوفير نطاقات مناسبة يقومون بالتحول للبيع فيها في إطار تخطيط المدن.

- إعطاء السند القانوني لاستخدام المساحات المناسبة والمتاحة في المناطق الحضرية.

- حماية وتوسيع الأوضاع المعيشية الحالية للباعة.

- جعل باعة الشوارع مُكونًا خاصًا في خطط التنمية الحضرية من خلال معالجتها كجزء متكامل من نظام التوزيع الحضري.

- إصدار إرشادات للخدمات الداعمة على المستوى المحلي.

- الدفع في اتجاه وضع قواعد منظمة في إطار من التنظيم الذاتي للباعة.

- ترتيب آليات ملائمة تشاركية غير رسمية يتم فيها تمثيل باعة الشوارع، والسرّيحة، والمنظمات غير الحكومية، والسلطات المحلية، والشرطة، والآخرين.

- توفير الدعم الإغاثي لباعة الشوارع في حالات الكوارث والنكبات الطبيعية.

التعريف بالكاتب

- مجدي علي سعيد

- مدير تحرير صفحة نماء في موقع "أون إسلام.نت"

- عمل لمدة عشر سنوات ككاتب ومحرر في موقع إسلام أون لاين ٢٠٠٠ – ٢٠١٠.

- رئيس الرابطة العربية للإعلاميين العلميين منذ يناير ٢٠٠٩، وعضو مجلس إدارتها منذ يوليو ٢٠٠٦.

- من مواليد حي السيدة زينب بالقاهرة عام ١٩٦١

- تخرج من كلية الطب، جامعة القاهرة، عام ١٩٨٦

- حصل على دبلوم الأنثروبولوجيا من معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، عام ١٩٩٦

- نشرت له الكتب والأبحاث التالية:

١- الانتخابات الطلابية في الجامعات المصرية العام الجامعي ٨٨-١٩٨٩، نشر عام ١٩٨٩ بالاشتراك مع آخرين.

٢- ألبانيا بين الآمال والمخاطر، مركز الإعلام العربي، ١٩٩٤

٣- لجنة الإغاثة الإنسانية مناخ النشأة وعوامل انتهاء الدور، بحث في إطار ندوة الإسلاميون والمجتمع المدني، المركز الدولي للدراسات، ٢٠٠١، منشور موجزا في نشرة إسلام ٢١.

٤- تجربة بنك الفقراء، الطبعة الأولى عن مركز يافا للدراسات والأبحاث بالقاهرة عام ١٩٩٩، والطبعة الثانية عن الدار العربية للعلوم في بيروت عام ٢٠٠٧.

٥- دليل الإعلامي العلمي العربي (محرر ومشارك)، لجنة النشر بالرابطة العربية للإعلاميين العلميين، يناير ٢٠٠٨.

٦- الإمام الشيخ محمد عبده والجمعيات الأهلية، بحث منشور في الإمام محمد عبده مائة عام على رحيله ١٩٠٥ - ٢٠٠٥، دار الكتاب المصري واللبناني، ٢٠٠٩. ونشر ككتاب مستقل بعنوان: العمل الأهلي حياة الأمة..تجربة الإمام محمد عبده، أغسطس ٢٠٠٩.

٧- تأملات قرآنية في الإصلاح والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية بالقاهرة، يناير ٢٠٠٩.

٨- العمل الأهلي حياة الأمة..تجربة الإمام محمد عبده، سبتمبر ٢٠٠٩.

٩- حركة التعاونيات..الطاقة التنموية المهدرة، دار البشير، نوفمبر ٢٠٠٩.

١٠- من سير صناع الحياة، دار البشير، ديسمبر ٢٠٠٩.

١١- التعليم مشروع الأمة..عبرة الماضي والحاضر وآفاق المستقبل، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، يناير ٢٠١٠.

١٢- العلوم والتكنولوجيا..أفكار وتجارب في التغيير والنهضة، المركز الحضاري للدراسات المستقبلية، يناير ٢٠١٠.

١٣- مؤمنون على طريق التنمية (كتاب مشترك مع أ.عبد الله الطحاوي تقديم سامح فوزي)، مؤسسة مواطنون من أجل التنمية، سلسلة توثيق خبرات التنمية (٢)، أغسطس ٢٠١٠.

١٤- دراسات تقديمية لكتابي: "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" لعبد الرحمن الكواكبي، و"الإسلام دين الفطرة" لعبد العزيز جاويش، في إطار مشروع إعادة نشر تراث الفكر الإسلامي الحديث، مكتبة الإسكندرية (تحت الطبع).

١٥- المفاتيح المكسورة..رحلة البحث عن الذات والمشروع (تحت الطبع)

١٦- يمكن التواصل معه على البريد الإلكتروني:
magdyas@hotmail.com

الفهـــــــرس

الباب الأول

تجارب مصرية وعربية

الباب الثاني

تجارب عالمية

